

روايات مصرية الجيب



40

وراء الباب المغلق

ما وراء الطبيعة



عدد خاص

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية الجيب

٨٦٩٩



د. أحمد خالد توفيق

وراء الباب المغلق

ماذا ينتظرنا خلف الباب
المغلق ؟ ماذا لو مددنا أيدينا
المرتجفة إلى المقبض ؟ ماذا لو
سمحنا لفضولنا بأن يرتوى ؟ هل
نعود أحياء ؟ هل تبقى بحلوقةنا
قوة تسمح لنا أن نحكي
ماحدث ؟ هل تظل لدينا
حلوقة أصلاً ..



م

التمن في مصر ٢٠٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم :
أسطورة فرانكنشتاين

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع
٥ : ٥٠٨٥٥ - ٢٨٣٨٨٨٩ - ٢٨٣٨٨٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٠٤

40

روايات مصرية للجيب

•
ما وراء الطبيعة

وراء الباب المغلق

روايات مصرية للجيب

ماورا: الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشويه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/ حمدى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ٨، ١٠ شارع ٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقى القجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البحري وكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت: ٢٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.

40

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

وراء الباب المغلق

بقلم :
د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٨٦١٩٧ - ٢٨٣٥٥٤ - ٥٩٠٨٤٥

فاكس : ٢٨٦٧٠٠٢

مقدمة

مرحباً بكم ..

جميعكم يعرف تلك العادة السخيفة التى يصعب أن أتخلى عنها ، ألا وهى تقديم حلقة رعب كلما فرغنا من عشرة كتيبات ، وهى عادة لا أجد لها تفسيراً ، وكل العادات الضارة غير ذات التفسير يستحيل أن أتخلى عنها ..

هذه هى حلقة الرعب الرابعة .. وهى كالعادة مجموعة من القصص القصيرة ، والقصيرة جداً تتحدث جميعاً عن موضوعى المفضل : الرعب ..

فى هذه المرة نناقش جانباً من الرعب ، لا يختلف عليه اثنان أو - كما يقول أجدادنا - لا تتناطح عليه شاتان ، وهو الرعب الذى يكمن خلف باب مغلق ..

ما الذى ينتظرنا خلف الباب المغلق ؟ ما الذى سيحدث لو مددنا أيدينا المرتجفة إلى المفتاح ، ثم إلى المقبض ، وسمحنا لفضولنا الإنسانى أن يرتوى ؟ هل نعود أحياء ؟ هل نعود سالمين ؟ هل تبقى بحلوقةنا

قوة تسمح لنا بسردي هول رأيناها ؟ كثيرون
تساءلوا .. وكثيرون لم تيق لهم حلو قاذرة على
الكلام بعدها !!

ها أنتم أولاء حولي .. وها هي ذى النار وجلستنا
المعتادة حولها ، وبعض أقداح الشيكولاتة الساخنة
طبعاً ، والشوق فى العيون اللامعة ، أذعو الله
ألا يتحول إلى خيبة أمل بعد انتهاء القصة ..
واربوا هذا الباب ، ولكن تأكدوا من أنه لن ..

ينغلق !!

آى !!

لا عليكم ! إنها أمسية طويلة ولربما وجدنا المفتاح
بشكل ما فى نهايتها ، أو لربما سمع استغاثتنا أحدهم
بالخارج .. لا تحملوا هم الخروج ، ولنصغ الآن إلى
العجوز (رفعت إسماعيل) وهو يحكى لكم حلقة
الرعب الرابعة ..

★ ★ ★

وراء الباب المغلق

كنا سبعة .. تباينت وجوههم وثيابهم وأهواؤهم ،
لكننا اجتمعنا فى تلك اللحظات التى لا تنسى ..
كنا سبعة .. أربعة رجال وثلاث نساء ، وحاول
الرجال أن يتصرفوا كما يليق برجال مهذبين ، لكن
ظروف الرعب التى مررنا بها جعلتنا نفقد ميراث
الحضارة فى لحظات ، وصارت قواعد اللياقة ترفاً
لا يتحملة الموقف ..

كنا سبعة .. وهو رقم تفاعلت به الثقافات على
أنواعها ، لكننا تمنينا للحظة لو ينخفض هذا الرقم
قليلاً .. ولهذا أسبابه ..

كنا سبعة .. لكن الاطمئنان لم يكن ثامناً ..



بدأت القصة فى خريف عام 1971 ..

والفصول فى مصر قد تتشابه ، وقد تختلط ، لكن
شيئاً واحداً يميزها هو الرائحة .. رائحة الأسفلت
المبتل فى الشتاء .. رائحة حبوب اللقاح وزهور

البرتقال القادمة من أرض محروثة : هذا هو الربيع ..
رائحة العرق ورائحة أنسام الليل الرحيمة فى الصيف ..
لكن الخريف له روائح عديدة .. سيحدثك التلميذ عن
رائحة ورق تغليف الكتب ، ورائحة الممحات فى الحقيبة
الجلدية الجديدة .. وسيحدثك الموظف عن رائحة
(الجوافة) التى لا تفارق الثلجة .. وستحدثك المراهقة
دامعة العينين عن رائحة الحزن ذاتها .. وسأحدثك
أنا عن رائحة المساء المبكر ..

الخريف ! يا لعذوبته .. يا لقسوته !

بدأت القصة فى خريف عام 1971 ..

اتصل بى صديق قديم هو الدكتور (جابر إبراهيم) ،
يدعونى إلى قضاء سهرة الخميس فى داره بـ (المقطم) ..
قلت له إننى سأمرض يوم الخميس ، وإن صحتى
لم تعد تحتل السهر ، لكنه انفجر ضحكاً :
- « يا (رفعت) ! يا لك من مخبول ! أنت تعرف
أن سهرة فى دارى لا تعنى سوى بعض المناقشات
المتقنة الذكية ، وربما بعض قطع (الجاتوه) مع
الشاي .. لا شئ مما تخاف القدوم لأجله .. »

كدت أصارحه أن هذا بالذات هو ما أخاف القدوم
لأجله .. سيكون هناك كثير من الأوغاد الثرثارين الذين
يتكلمون ويضحكون بصوت عال ، وكل منهم يحاول
أن يبرهن للآخرين أنه بخير وهم ليسوا بخير ..
فى النهاية قبلت كى أخرسه ، وإن كنت أعترف أن
أسماء بعض الموجودين بدت لى مغرية بالتأكيد ..
نظرت لنفسى فى المرآة ، وقلت :

- « ألن تكف عن الذعر يا (رفعت) ؟ متى تصير
حيواناً اجتماعياً ، وقد كاد العقد الخامس من عمرك
ينتهى ؟ » .

لكن الإجابة كانت جاهزة لدى :
- « لن أصير حيواناً ، اجتماعياً أبداً .. فمن
رابع المستحيالات أن تلقن كلباً عجزاً حيلة جديدة
كما يقول الإنجليز .. »

ولكن من هو (جابر إبراهيم) ؟

★ ★ ★

لا أعرف الكثير عن هذا الرجل .. أعترف بهذا ..
إنه أستاذ جامعى .. يقوم بتدريس الجراحة لطلبة
الطب ، ولديه عيادة هى نافورة مال فى واحد من

أرقى أحياء القاهرة - وابن أذكر الحى طبعاً حتى
لا أمنحه دعاية مجانية - وهو متأنق جداً ، ولسبب ما
صار من نجوم الإعلام الدائقيين الذين يندر أن تخلو
صحيفة من صورة لهم ، ولا بد من أن تراه مرة
أو مرتين أسبوعياً فى التليزيون ..

نشأت بيننا صداقة ما ، من طراز سطحى لا يخلو
من المجاملة .. إننى رجل كثير المعارف ، قليل
الأصدقاء كما تعرفون ..

ولم أتخيل قط أن علاقتنا يمكن أن تكون أعمق من
هزّ الرأس من على بعد كلما التقينا ، وإخبار مرضى
تضخم الطحال - الذين ينوى استئصال طحالهم - أن
الجراحة لن تفيدهم بشيء ..

فكيف أمضى أمسية عند هذا الرجل ؟

لكن الإغراء كان قوياً كما أقلت .. فالرجل يملك فيلا فى
(المقطم) يُقال إنها ، أروع منظر يمكن أن تراه فى حياتك ،
وقائمة المدعوين لا بأس بها ، تتضمن أسماء مثل
(محمود عونى) الكاتب الدسحقى الشهير ، و (هيام)
الممثلة الشابة بارعة الحسن ، ومطرب شاب نسيت
اسمه يغنى مثل (عبد الحليم حافظ) دون توفيق كبير ..

لماذا أذهب إذن ؟ لأن العمر يمضى ، وأنا لم أر
كل شىء بعد .. ما زالت هناك أشياء أخرى غير
الزومبيين والمذعوبين تحتاج إلى أن أراها قبل أن
أغمر عيني فى رضا ، وأموت ..



وفى الثامنة من مساء الخميس ، دخلت سيارتى
العتيقة فى حياء وتهيب ذلك الممر المحاط بالأزهار عند
مدخل الفيلا .. كانت السيارات الواقعة تشى بالثراء
- حسب مقاييس هذه السنة - وشعرت بالفعل بأن
عجلات سيارتى ترتجف فى خجل .. لحسن الحظ
كنت أرتدى البذلة الكحلية التى تجعلنى فائنًا ، وقد
سكنت على نفسى نصف زجاجة من (الكولونيا) التى
أهدتها لى ابنة أختى فى عيد ميلادى العاشر ..

فتح لى الباب خادم نوبى يرتدى طربوشًا وحزامًا
عريضًا من نفس اللون فوق جلبابه الأبيض ، وبأدب
اقتادنى إلى قاعة فسيحة تنتثر فيها الأرائك فى
فوضى منظمة .. ثمة موسيقا راقية قادمة من
مكان ما أو إضاءة عادية ساطعة كإضاءة حفلات
العرس لا يميزها شىء ..

عدد من القوم يجلسون أو يقفون ، غارقين فى
محادثات فانتنى بداياتها بالطبع .. وسمعت من تقول
لى فى تهذيب :

- « مرحباً يا د. (رفعت) .. أنا (ناهد) .. »
استدرت مرتبكاً لأجد سيدة فى منتصف العمر ،
تضع على رأسها جُمّة صفراء عالية لامعة كأنها من
الخزف - وهى المودة فى هذا الزمن - وفيما عدا هذا
لم تبد لى مجنونة أو بلهاء ..

- « أنا حرم الدكتور (جابر) .. كيف عرفتك ؟
وهل يخفى القمر يا دكتور ؟ .. أنت اليوم أشهر من
نار على علم ، ولا يمكن إقامة حفل يضم نجوم
المجتمع دون أن تدعى إليه ! »

بحثت عن مندىلى لأمسح قطرات العرق على
صلعتى ، وقلت :

- « هذا شرف لى .. وأين هو ؟ »
ضحكت فى مرح ضحكة خنفاء أرستقراطية :
- « بعلى ؟ ليس هنا .. ثمة جراحة عاجلة جعلتهم
يستدعونه .. إنه لا يكف عن هذه اللعبة السخيفة :
هجرنى وحدى دون صديق ولا معين .. لكنه سيعود
بالتأكيد .. لا بد أن يعود فلا دار له إلا هنا .. »

وببساطة جذبتنى من كم سترتى تقتادنى إلى حيث
اجتمع عدد من ضيوفها .. وبأناقة كالتى تراها فى
السينما قاطعتهم وأجرت عملية التعارف :

- « صبراً يا شباب .. معى ضيف خارق للعادة هنا
هو د. (رفعت إسماعيل) .. قاهر الأشباح ! »

بدا الغباء على الوجوه ، فأدركت أن سمعتى لم تصل
إلى هنا .. فحاولت أن تساعدهم على التذكر :

- « (بعد منتصف الليل) ! البرنامج الرهيب
الذى منعه الرقابة ! لقد كان د. (رفعت) هو ضيفه
الدائم .. »

أخيراً تذكر واحد أو اثنان شيئاً كهذا ، لكنى لاحظت
فى ضيق طريقتها فى تقديمى ، وهى طريقة لم تخل
من السخرية .. سخرية خبيثة جداً يصعب الإمساك
بها .. وأدركت أن مظهرى صدم هؤلاء القوم ..
وأنهم يكتمون فى أذهانهم بعض الخواطر الساخرة
عن ذوق هذا الدكتور (جابر) ..

صعد الدم إلى رأسى ، وقررت أن أكون سمجاً باتراً
عند أول بادرة تدلّ على التحرش .. من أنتم يا حمقى ؟
وماذا تعرفون عن أى شىء كى تعطوا أنفسكم الحق
فى انتقادى !؟

قالت مدام (ناهد) ، وهى تشير إلى مكان خال
على الأريكة :

- « هلم اجلس يا دكتور (رفعت) .. دعنى أقدم
لك هؤلاء السادة .. »

إن هذه الحسنة لا تحتاج إلى تعريف .. لقد رأيت
صورتها مراراً ، ولم أنس اسمها .. الممثلة الشابة
(هيام) التى لو كان تمثيلها فى مستوى جمالها ..
لكانت لدينا (سارة برنار) أخرى ..

والسبب الذى جعلنى لم أنسها ليس مراهة متأخرة ،
لكنها تشبه (ماجى) كثيراً ، خصوصاً عندما تنظر
للسقف وتضم شفتيها كأنما تتذكر .. هذا هو السبب
الوحيد الذى جعلنى أتذكرها جيداً ..

لقد قامت (هيام) بأداء ثلاثة أو أربعة أدوار فى
أفلام ملونة ، لكن حال السينما المصرية قبل حرب
أكتوبر كان مضطرباً ، وكان مصاباً باتعدام وزن
وتخلف عقلى واضح ، مما جعل من العسير على
السينما أن ترى فى هذه الممثلة سوى جمالها ..
وحقاً كانت (هيام) بارعة الجمال ..

أما الشاب ذو النظرات الحزينة والسالفين الطويلين
والشامة ، والذي يتكلم همساً وهو يسبل عينيه ، فهو
المطرب الشاب (سمير الصياد) .. وهو قد أوغل فى
تقليد (عبد الحليم حافظ) حتى أنه يوشك على
الإصابة بالبلهارسيا وتليف الكبد مثله .. له أغنيتان
علقتا بأسماع الناس ، لكنى لا أذكر منهما سوى
مقطع واحد يقول :

« أنا لو أنساكى حافتكر مين ؟ من بعد هواكى
حياتى أنين »

وذلك بسبب الكسر الواضح للوزن باستعمال
(حافتكر) فى الشطرة الأولى ، ومن العجيب أن أحداً
لم يلحظ هذا أو يهتم له ، وكلما أبدت تأفك من هذا ،
ضحك محدثك فى استخفاف وقال : « إنه غناء على
كل حال .. ليس الأمر بهذه الخطورة ! » .. فتحمر
أذناك خجلاً ..

أما عن صوت الفتى فكان لا بأس به ، ما خلا
حشجة معينة فى حنجرته تغريك باستعمال أقرب
عصا كى تحاول تسليك حنجرته بها ..

ثالث الجالسين هو (محمود عونى) .. الكاتب الصحفى
الشهير ، الذى يرأس تحرير ثلاث صحف واسعة
الانتشار .. وهو متأنق يدخل الغليون ، ويتسم فى
وقار ، وقد حرص على أن يطيل سالفه الأشعثين
الشائبين ليعطياه منظرًا غريبًا كقرود (البابون) ..
كان كاتبًا لا بأس به ، وقد أحببت كتاباته حقًا ،
وأعتقد أنه إنسان ذكى .. الغبى بين الكتاب يفتضح
أمره سريعًا ..

رابعة الجالسين هى الشاعرة (نادية فهيم) ..
وهى شاعرة فى الأربعين تدخل بإفراط .. وتكره
الرجال ، باعتبارهم الاصوص الذين ظلوا يسلبون
المرأة حقوقها منذ فجر التاريخ حتى اليوم ..
هذا نمط معروف ، ولا داعى للكلام عنه أكثر ..

كان هناك كذلك مخرج سينمائى عجوز هو الأستاذ
(حسين أبو النجا) .. وهو من جيل الرواد كما
يقولون ، ولم يكف يومًا عن الإخراج - السينمائى
طبعًا - لذات الحبكة .. بنت الحارة الشهمة الشجاعة
التي يقع ابن الأكابر فى هواها ، ثم تحاول خطيبة ابن
الأكابر منع النهاية السعيدة لهذه القصة .. لقد قدّم

الرجل مائة فيلم ، كلها على مستوى واحد من السوء ..
لكن المعجزة التى جعلته يستمر دون أن يموت ،
جعلته بحق جديرًا بأن يكون من رواد فن السينما ،
وصار اسمه (المخرج الكبير) ..

هؤلاء هم أهم الوجوه ، وقد تنأثر آخرون من
حولنا ، لكنى لم أميز منهم واحدًا بعينه ، وتساقطت
الأسماء سريعًا ..

بدأت الجلسة متحفظة ، ثم دعا أحدهم المطرب
إلى الغناء ، وتعالّت الأصوات ترجوه على غرار (غنّ
يا وحيد) ، فراح يتنحنج فى تواضع ويشير لحنجرته
بما معناه إنه لم يستعد ..

فى النهاية برز عود من مكان ما ، وبدأ الرجل
يعزف ، وانطلق صوته المشروخ يغنى .. و .. وبدأ
البعض يصفقون مع اللحن ..

أعترف هنا أنني بدأت أصفق بدورى ، ووجدتني
أقهقه فى سرور .. هذا غريب ! فى البداية كنت
متشككًا مشمئزًا من هذا الجو بأسره مع لمسة تعال
لا بأس بها ، وفجأة اندمجت وهزمت .. فى نفسى
تحرك ذات الطفل الموجود لدى الجميع ، والذى يسره

ويشعره بالفخر أن يجلس مع المشاهير .. حتى
دعاباتهم التي - فى مكان آخر - كنت سأجدها سمجة
مبتذلة ، بدت لى هنا جيدة لاساحة لا تخلو من الذكاء ..
راح الفتى يلوح برأسه يسيناً ويساراً ، وهو يردد
دون كلل :

« أنا لو أنساكى حافتكر مين ؟ من بعد هواكى
حياتى أنين »

وخطر لى أن مؤلف كلماته أحقق دون شك ..
يكفيه استبدال (راح أعرف مين ؟) بـ (حافتكر مين ؟)
لتستقيم الأمور ، ولما سح لواحد مثلى بأن ينتقد
ملكاته التأليفية ..

. دارت المرطبات - فقط لحسن الحظ - ومعها
الجاتوه ، وحلوى ما فى أطباق تشبه زيول حيوان
(الأرماديللو) ..

★ ★ ★

جلست جوار الأستاذ (محمود عونى) نناقش مستقبل
البلاد .. متى تنتهى حالة اللاسلم واللاحرب ، وهل
لا بد من معركة فاصلة أم لا ..

كان ذكيًا بالفعل ، وقد قدمت لى آراؤه الكثير من الأفكار الجديدة ، إنه رجل يعرف أكثر بكثير مما يقول .. واحد من (الباصقين فكريًا) لو سمحتم لى بهذا التعبير .. ولاحظت أنه لا يعلن عن آرائه إلا همسًا ، وهو يتلفت من وراء كتفيه .. هذا بالطبع يتناسب مع خطورتها ..

لا أدري متى ولا كيف جرى بنا الوقت بهذه السرعة ؛ لكننى نظرت إلى ساعتى لأجدها الواحدة بعد منتصف الليل ..

كان عدد لا بأس به من الحاضرين قد انصرف بالفعل ، والغريب أن الدكتور (جابر) لم يظهر بعد .. حفل فى داره يوشك على الانتهاء ، وبرغم هذا لم نره لحظة واحدة ..

ونقلت خواطرى للدمام (ناهد) التى كانت واقفة على الباب تثرثر مع رجل أصلع وزوجته التى تدثرت بالفراء على كتفها ..

قالت (ناهد) :

- « هذا هو شأن الأطباء .. ألسن طبييًّا

يا د. (رفعت) ؟ »

شعرت بالخجل من نفسى لأننى أملك الوقت الكافى
الذى أمضيه فى حفل كهذا ، دون أن أنهمك بجمع
المال .. يالها من فضيحة ! »

كدت أنهض لأتصرف مودعاً محدثى اللبق ، وباقى
الضيوف ، لكن مضيفتنا النصف حسناء رفعت إصبعها
السبابة إلى جانب رأسها فى حركة أنيقة ، وقالت :

- « لا .. لا ! اتصرف قبل عودة زوجى ؟
مستحيل ! »

صارحتها بأننى بدأت أميل للاعتقاد بأن زوجها قد
توفى للأسف .. وأتنى لن أنتظر هاهنا إلى ساعة
الحشر بانتظار عودته ..

نظرت لى فى خبث ، ثم نظرت للموجودين ،
وراحت تعدهم بإصبعها فى شرود :

- « واحد .. اثنان .. خمسة .. ستة .. أنا
السابعة .. لا بأس ! »

ثم بانتصار هتفت :

- « لقد حان الوقت ! »

تبادلنا النظرات ، وكف المتحدثون عن الكلام ،
وتساعل سائل :

- « حان الوقت لماذا ؟ »

- « حان الوقت كي لا ينصرف أحد ! »

سألتها فى غباء :

- « سبعة لن ينصرف أحدهم ؟ ما هذه اللعبة ؟ ! »

اتجهت إلى مركز القاعة ، وصفت بيديها طالبة

الصمت ، ثم صاحت :

- « يا سادة أنا آسفة على الإزعاج .. لكن الحقيقة

هى أننا جميعاً محبوسون هنا ، وحتى يعود زوجى .. لقد

رحل الخدم وأغلق آخرهم الباب بالمفتاح .. النوافذ فى

الطابق الأول كلها مدعمة بالحديد .. الهاتف لا يعمل الآن

لأن أحدهم عطّله من الخارج !! »

هبّ الكل واقفين ، وتعالّت الكلمات الغاضبة كما

لا بد أن تتخيل ..

وصاح المخرج العجوز فى عصبية :

- « ما معنى هذا ؟ هل هذا مخطط إجرامى ؟ أية

لعبة هذه ؟ »

وصاحت الممثلة الحسناء بالهستيريا الواجبة :

- « ربّاه ! ماذا تعنى هذه المرأة ؟ ! »

تراجعت مدام (ناهد) للوراء خطوتين لتهدئ
جماس القوم ، وقالت :

- « هذه هى تعليمات زوجى ، وأنا هنا سجينه
مثاكم .. لماذا ؟ لو أنكم جلستم والتزمتم الصمت
لاستطعت أن أشرح ! »

تبادلنا النظرات ، ثم عدنا لمجالسنا متوقعين الأسوأ .
فى رزاة سألها الكاتب، الصحفى :

- « مدام (ناهد) .. واضح أننا فى موقف
بلا تفسير .. أو أنك تملكين تفسيره الوحيد .. وإنا
لنكون مسرورين حقاً لو اتدمت لنا ما يزيل حيرتنا .. »
ابتسمت ، وجلست وادسعة ساقاً على ساق ، وقد
اعتمدت بمرفقيها على ركبتيها ، وقالت فى هدوء :
- « الأمر يتعلق بلعبة من نوع خاص .. »

★ ★ ★

- « مرحباً يا أصدقاء .. »
- « أنتم جميعاً تعرفون هذا الصوت دون شك ..
إنه صوتى .. لكن قليلين منكم يمكنهم ملاحظة
الحشرجة التى بدأت تتسرب إلى نبراته .. ربما
لم تلاحظها سوى (ناهد) ، وقلت لها كلاماً كثيراً

عن برد المساء والتهابات الحلق ، وأحسبها صدقت
ما قلت .. »

كان الصوت ينبعث فى تؤدة من جهاز التسجيل
الذى وضعته مدام (ناهد) على المنضدة الزجاجية
أمامنا .. ومع دوران الشريط كانت عيناها تتسعان
بأهدابها الصناعية الكثيفة .. أدركت دون جهد أنها
لا تفعل شيئاً .. إنها تسمع هذا الشريط للمرة الأولى
حقاً ..

كانت قد أحضرت لنا الجهاز ، ومعه شريط تسجيل
من الطراز العتيق ذى البكرات ، وقالت لنا : إن هذه
هى الرسالة التى تركها زوجها للموجودين هنا ،
وأمرها ألا تبدأ التشغيل إلا حين ينخفض عدد
المدعوين إلى سبعة بمن فيهم هى ذاتها ..

بالطبع وعدته بذلك .. وبالطبع - وإن لم تقل هذا -
استمعت إلى الشريط خلسة كي لا تفاجأ بشيء ..
الأمر الذى يؤكد لى أن زوجها قد قام باستبدال
الشريط قبل أن ينصرف ، وبعد ما تأكد من أنها لن
تجد وقتاً لسماع هذا الشريط الجديد .. النتيجة هى
أنها حائرة مندهشة ، تسمع هذه العبارات للمرة
الأولى وإن لم تعترف لنا بسبب حيرتها ..



كان الصوت ينبعث في تودة من جهاز التسجيل الذي
وضعت مدام «ناهد» على المنضدة الزجاجية أمامنا ..

ويستمر الصوت من جهاز التسجيل :

- « لو كان الدكتور (رفعت إسماعيل) ما زال موجوداً ، فلربما استطاع أن يفهم معنى ما أقول ..
إن سرطان الحنجرة يصيب الجراحين كما يصيب سواهم ، وسيكون مملاً أن أقول : يا ليتنى امتنعت عن التدخين حين كان هذا بوسعى .. لكن الألوان قد فات ، والبكاء على اللبن المسكوب يزيد الأمور سوءاً ..
هنا شهقت الزوجة ، وغطت فاهما المصبوغ بأناملها محاولة كتمان صرخة .. واضح تماماً أنها لا تعرف عن الموضوع شيئاً ..

الصوت يستمر :

- « سافرت إلى الخارج ، ولم أخبر أحداً بأننى أعترم استشارة أساتذة جراحة الحنجرة فى الولايات المتحدة ، وقد قالوا لى ما كنت أعرفه .. لقد صار العلاج متأخراً جداً ، ولم يعد من أمل لى إلا فى العلاج التحفظى الذى يجعل لحظات الموت أكثر بطنياً .. »

ساد صمت طويل بعدها ..

كان السؤال الذى يتردد فى أذهان الجميع هو :
ما علاقة هذا كله بسجننا ؟ لو أراد أن يموت فهذا شأنه ، لكن ما نحننا بهذا كله ؟

عاد الرجل يتكلم بصوته الرصين ، الذى بدأت أميز فيه الحشرجة الآن .. (فقط بعد ما قال ذلك ، لأننى لست ممن يدعون الحكمة بأثر رجعى) :

- « الليلة لن أكون فى (مصر) .. عندما تسمعون هذا الشريط سأكون فى طريقى بالطائرة إلى (الولايات المتحدة) لأودى لنفسى آخر حقوقى نحوها ، وهو تحصيل حاصل كما تعلمون ، لكنى مضطر لعمله .. »
- « أسمعكم تتساءلون عن السبب الذى جعلنى ألعب هذه اللعبة الغريبة .. أدعوكم إلى حفل ثم أتغيب عنه ، وفى الغالب - لو سارت الأمور كما خططت لها - ستجدون أنكم سجناء فى دارى لسبب لا تفهمونه .. ويمكننى أن أخبركم بما هو أكثر .. »

- « لقد عاد الخدم لديارهم سعداء بهذه العطلة .. أغلق واحد منهم الباب الرئيسى كى لا يتمكنوا من الرحيل ، ولم ينس أن يفك بعض الأسلاك فى صندوق توزيع الهاتف بالشارع لينتهى احتمال أن تستدعوا أحداً (*) .. »

(★) لا تنس أن القصة تحدث عام 1971 حيث لم يكن هناك هاتف محمول ، ولو كان مع أحد الموجودين لانتهت القصة بعد صفحة واحدة !

« كل هذا معروف لزوجتى، وبحماقتها المعتادة قبلت أن تشارك فيه لأننى أردت أن أضعكم فى اختبار ذكاء لكيفية الخروج من هنا .. لكنها لم تعتقد ولم تشك لحظة فى أن الانتقام هو غرضى الوحيد من كل هذا .. »
« إننى أكرهكم يا سادة ! أكرهكم وأكره وجوهكم الكالحة التى تحتشد فى دارى طمعاً فى التسلية ، ولو لم يكن وجودكم فى حياتى مهماً للرونق الاجتماعى - مثلكم مثل كلاب (الداشهاوند) ، والخيول الأصيلة - لطردتكم شرّ طردة ، أو أبدتكم بأقرب علبة مبيد للصراصير أجدها فى يدى ! »

« لا داعى للضييق ! أنا لا أعنى بكلامى واحداً بعينه منكم .. فلا يعلم سوى الله (سبحانه وتعالى) من هم السبعة الذين تبقوا منكم فى هذا الحفل .. وإننى لأتساءل ..

ترى هلبقى (عادل زكى) ؟ تبّاً له من منافق لص .. أنا أعرف جيداً كم يكرهنى وكم يلسن علىّ خلسة .. لكن الأقنعة التى علمنا المجتمع ارتداؤها محكمة جيداً ، متقنة للغاية .. الآن وقد جاءت لحظة الحقيقة يسرنى أن أعاقبه بطريقتى ..

« ترى هل (سلوى نامر) هنا ؟ كنت طيلة حياتى
أمقت هذه المتصنعة البتذلة التى تتظاهر بحبها
للأدب .. إنها أغبى من أئمة وأكثر خسة منها .. »
« هل المخرج الأحمق ضيق الأفق (أبو النجا)
هنا ؟ أنا أعرف جيداً دناءته ، وتلاعبه بالوجوه
الجيدة ، وأعرف أكثر من سواى أنه يكرهنى .. »
« هل ؟ هل ؟ لن أعرب أبداً .. »

« لكنى متأكد من شىء واحد .. زوجتى هنا ..
مهما كانت شخصيات الستة .. فلا بد أن (ناهد) هى
السابعة .. »

« (ناهد) هى نموذج جيد للزوجة التى تصنع
زوجها .. تصنعه عن طريق تعذيبه وإرغامه على أن
يغرق همومه فى العمل ومزيد من العمل .. إنها
صنعتنى بالطريقة التى تصنع بها الكلاب المسعورة
بطلاً فى العدو ! وطيلة حياتى لم تكف عن إشعارى
بالفشل ، وبأننى منحتها أذل بكثير مما تستحق .. ما إن
بدأ الثراء يدق بابى حتى قررت أن ترقى نفسها إلى
طبقة جديدة ، وسرعان ما تحول (أبويا) إلى
(بابى) ، و (أمى) إلى (مامى) بمعجزة ما .. »

« لقد انتحلت شخصية سيدة مجتمع ، وقررت فجأة
أننى غير جدير بها ؛ لأن مثيلاتها يمشين على الذهب
ويرفلن فى الحرير فى ظروف أخرى مع رجال آخرين
.. وأصارحها أن مثيلاتها يضربن بالسياط يومياً لو
كان أزواجهن أكثر حزمًا منى !

« شخص واحد هاهنا لا أحمل له ضغينة معينة ،
وأرجو أن يسامحنى لو كان لم ينصرف بعد ..
د. (رفعت إسماعيل) : هل أنت هنا يا دكتور ؟

« أنا لا أكرهك بالتأكيد .. ربما كنت لا أطيقك ، لكن
هذا موضوع آخر .. أنت كائن فضائى عجيب ،
وما زلت أندesh كلما رأيت قامتك الناحلة ، وكيانك
المريض ، والملل يطلّ من عينيك وراء عويناتك
السميكة ..

« حقاً هذا لا يبرّر الانتقام منك .. لكنى كنت بحاجة
إليك كما يحتاج أى حساء إلى ملح .. إلى توابل ..
« أنت تعرف الكثير عن عالم الرعب والأسرار
المستغلقة - أو هكذا يقولون ، وإن لدى هاهنا كثيراً
من الرعب الذى يحتاج إلى وجودك ..

سامحنى يا زميلى على ما قد تسببه لك هذه
الأمسية من متاعب ، واشكرنى على ما قد تضيفه إلى
خبراتك الرهيبة ..

★ ★ ★

- « إن قواعد اللعبة هى البساطة ذاتها ، وقد
استمددتها من كل أساطير الباب المغلق فى تراث
الإنسانية ..

« أنتم هاهنا سجناء .. نلا .. لا تحاولوا الهبوط
من الطابق الثانى لأننى أغلقت الباب الرئيسى الذى
يقود إليه ، وأبواب الفيلا غير قابلة للتحطيم .. ربما
الشئ الوحيد الذى سيتحطم هو عظامكم لو حاولتم
اغتصاب باب منها ..

« على أننى تركت ثلاثة أبواب موصدة فى الطابق
الأرضى .. ثمة باب واحد يقود إلى الخلاص ، وبابان
يقودان إلى الهلاك التام لكم ، ولن أقول كيف طبعاً .. »
« الباب الأول : هو الباب الذى يقود إلى غرفة
مكتبى .. الباب الثانى : هو الذى يقود إلى غرفة المعيشة
الصغيرة .. الباب الثالث : هو الذى يقود إلى غرفة
السينما .. إن (ناهد) لم يكن عندها وقت لدخول
هذه الغرف قبل الحفل ..

« تشاوروا بعناية ، واختاروا .. ثم افتحوا الباب الذى اخترتموه ولا تندموا على قراركم هذا .. سيكون الهول شديداً لو كان قراراً خاطئاً ، ولسوف تظفرون بمية تكتب عنها الصحف شهوراً بعد هذا ..

« إن هذا الموقف هو ببساطة تمثيل دقيق لحياتنا كلها .. ثمة باب قد يقودك إلى المجد والخلود ، وباب قد يقودك إلى الهلاك الأبدى .. المشكلة هى أن تحسن الاختيار .. المشكلة هى ألا تختار الباب الخطأ أبداً .. لا أدري كيف .. هذه هى أزممتنا جميعاً .. أنا قد اخترت بابى ، وظفرت بسرطان فى الحجرة ، وحقد لا ينتهى على الادعاء مثلكم .. ترى ماذا تختارون أنتم ؟!

« إن فرصتكم واهية لكنها ليست معدومة .. سبعة عقول لا بد أن تصل للإجابة الصحيحة ، حتى لو كانت عقولاً كعقولكم ..

« وهنا يسأل سائل : لماذا رقم سبعة بالذات ؟

« سؤال جيد وأنا أحب الأسئلة الجيدة ..

« لقد كان رقم (سبعة) شديد الأهمية فى حياتى ، وتركزت كل أحداثها المهمة حول رقم (سبعة) هذا ، ومن الغريب أن أحداً لم يندهش لكونى ولدت فى اليوم

السابع من الشهر السابع من عام 1917 .. ربما فى
الساعة السابعة مساءً كذلك ...

« إن رقم (سبعة) شديد الأهمية فى الأديان ،
وشديد الأهمية فى قصص الشعوب .. وقد ظلّ
رقم (777) يمثل الكمال المطلق فى وجدان البشرية
منذ زمن سحيق ..

« لهذا قررت أن أمارس لعبتى على آخر سبعة
حمقى يبقون فى دارى بعد ما يرحل الجميع ..
« أعرف أنكم ستشيعوننى باللعنات ، وسوف ينهال
سبابكم على رأسى ، لكنى أخرج لكم لساتى بلا حرج ،
وأقول : إبنى لا أعبأ بما تقولون ؛ لأننى سأكون فى
قبرى قريباً ، لا أهتم بشيء سوى ما أنا فيه ..
« وداعاً يا سادة ، وأتمنى لكم اختيارات موفقة !»

★ ★ ★

ظلّ الشريط يدور بلا صوت سوى صوت البكرة
الرتيب ، وفى النهاية تحرّر الجزء الأخير الشفاف
ليلحق بما سبقه ..

كنت أنا أول من تكلم :

- « صديد ! هذا الرجل قد ضغط على (دمل) فى
روحه ليلوث كلماته بكل هذا الصديد .. »

وقال الأستاذ (محمود عونى) وهو يشعل غليونه :
- « زوجك يا سيدتى مجنون تماماً ، ومن الغريب
أن أحداً لم يلحظ هذا ، برغم أن (جنون العظماء
لا يمرّ دون تعليق) ، كما قال (شكسبير) .. »

كانت فى أسوأ حال ممكن ، ولم تكن على استعداد
لسماع العبارات المكررة السخيفة على غرار (إنه
مجنون يا سيدتى) و (يا للهول !) وما إلى ذلك ..
الآن كان كل واحد منا يحتج بطريقته .. الممثلة
تحتج بكثير من الهستيريا ، مع بعض العبارات التى
صارت تفلت منها ، ولا تدلّ على أصل شديد الرقى
للأسف .. المطرب يمدّ يديه فى حيرة وعدم فهم
تمثيليين كأنما هو يوشك على غناء أغنية عاطفية ،
ولسان حاله يقول : أنا لا أستحق هذا .. أما الصحفي
الكبير فقطّب جبينه بما معناه : لنكن عقلانيين بعض
الشيء ..

الشاعرة الغاضبة ازدادت كثافة وسرعة تدخينها ،
وراحت لفافة التبغ تهتز بين أناملها منذرة بزلزال

عصبى ، وراحت تقول عبارات من نوع (هذا لا يليق بنا) .. (دعاية سخيصة من إنسان ظنناه على قدر ما من النضج) ..

سألتهم وقد قررت أن أجلس :

- « من منكم أخبر الآخرين أنه هنا ؟ »

تبادلوا النظرات .. أخيراً قال المطرب وهو يتحسس شامة جبينه :

- « إن طبيعة حياتنا الاجتماعية تجعل من

المستحيل التنبؤ بميعاد معين نعود فيه لديارنا .. »

هذه هي المشكلة إذن .. كل هؤلاء أشخاص من الممكن جداً أن يبيتوا خارج ديارهم ، ولن يندهش أحد لغيابهم ..

سألت الكاتب الصحفى الذى أعرف أنه يعيش حياة اجتماعية مستقرة قوامها الالتزام :

- « هل تعرف المدام أنك هنا ؟ »

نفث المزيد من دخان الغليون ، وقال :

- « للأسف لا .. إنها مع الأولاد فى (العجمى)

هذه الليلة بالذات .. ولا تعرف أننى هنا .. »

- « فى (العجمى) فى (أكتوبر) ؟ ! »

- « إنها تعشق إسكندرية فى الشتاء ! »

هنا سألتنى المخرج العجوز بنفاد صبر :

- « وأنت يا د. (رفعت) ؟ ما هى ظروفك ؟ »

ابتسمت فى حزن :

- « أنا ؟ إننى آخر إنسان يمكن أن يسأل عنه أحد

أو يتساءل عن سبب غيابه .. إن موتى سيضايق

جيرانى لأسباب تتعلق بالرائحة لا أكثر ! »

وطبعاً لم يكن من داع لسؤال السيدة (ناهد) ..

فالوحيد الذى يمكن أن يقلق عليها هو زوجها ..

زوجها الذى هو فى طريقه الآن ليموت بـ (الولايات

المتحدة) ..

الحقيقة هى أننا فى مأزق لا بأس به .. لكن هل

هو مأزق حقاً ؟

★ ★ ★

نهضت (هيام) فى هستيريا وعصبية متجهة نحو

أحد الأبواب فى طرف القاعة ، وهى تصيح :

- « دعونا نخرج من هنا ! إن هذه اللعبة بدأت

تثير أعصابى .. لا أحب أن يتسلى أحدهم بى .. »

لكن (ناهد) لحقت بها ، فاعتصرت معصمها فى

عصبية أكثر ، وهمست من بين أسناتها :

- « اهدئي يا (هيام) .. هذا هو باب غرفة
السينما .. وهى من الغرف التى تكلم عنها الآن ! »
- « لا يهمنى ما يقول هذا الأحمق .. سأخرج الآن
و »

- « اهدئي !! »
دوت صرخة (ناهد) المنذرة المخيفة ، وأدركنا
أنها على حافة الانهيار بدورها .. ورأت الفتاة أن فتح
الباب قد يكون خطراً وقد لا يكون .. لكن الخطر
الحقيقى الداهم هو (ناهد) التى تحولت إلى نمر
شرس ، وكان العرق مع الدموع قد غمر وجهها ،
وسال كل الطلاء الذى دهنت به سحنتها ، فبدت كأحد
محاربى (الأباش) بعد ما سلخ رأس الجنرال (كاستر) ..
منظر مخيف فعلاً ..

سألتها فى فضول علمى برىء :
- « غرفة سينما ؟ هل لديكم غرفة سينما ؟! »
أخذت شهيقاً عميقاً : وتراجعت عن الباب ، وقالت
فى ملل :

- « لدى زوجى آلة عرض للهواة من طراز 16 مم ..
وهو يهوى مشاهدة الأفلام فى هذه الغرفة .. ليست

سينما بالمعنى الصحيح ، لأن أكثر الأفلام الروائية هي
مقاس 35 مم .. »

دعوتها إلى الجلوس ، ثم طلبت منهم أن يلتزموا
الصمت ، كي نناقش بنظام ودون هلع موقفنا غير المعتاد
هذا .. لست من هواة استعمال اللغات الأجنبية ، ما دام
فى العربية ما يقابلها ، لكنى رجوت أن أردد مراراً
بالإنجليزية (Don't Panic) .. لأن لفظة (Panic) الإنجليزية
تعبر بدقة عن الهلع الذى يسلبك القدرة على التفكير ،
والذى يجعل رواد السينما يتدافعون على الأبواب
ويهشمون بعضهم البعض ؛ إذا شموا رائحة دخان ..
ولسبب كهذا تصمم أبواب قاعات المؤتمرات
والمسارح بحيث تنفتح إلى الخارج لا الداخل ..

قلت لهم محاولاً أن أكون بارداً عقلياً :

- « كما ترون نحن فى وضع غير مسبوق ..
ما زلت أشعر أن فى الأمر مزحة أو دعاية ما ، الغرض
منها اختبار أعصابنا .. »

- « مستحيل ! »

كانت هذه من الزوجة التى قالتها دون أن ترفع عينيها ،
واعترضت قدح الشاي بين يديها فى عصبية ، وغمغت :

- « لو كنت تعرف زوجى لعرفت أنه لا يمزح ..
وعندما يقول إنه ينوى هلاكنا فلك أن تثق فى هذا ! »
- « هذا هو فصل الخطاب .. »

وصيبت لنفسى بعض الشأى من البراد الخزفى
الأنيق .. كان قد برد تمامًا .. لكنى كنت بحاجة إليه ..
وأردفت :

- « حسن .. يمكننا إذن أن ننطلق من فرضية
ثابتة ، هى أن هذا الموقف حقيقى .. وهو فى رأى
لا يخلو من تشابه مع مواقف شهيرة فى الأدب
العالمى .. إن من يخطب الحسنة (بورشيا) فى
مسرحية (تاجر البندقية) عليه أن يختار واحدًا من
ثلاثة صناديق .. الصندوق الأول من الذهب .. الثانى
من الفضة .. الثالث من الرصاص .. وفى أحد
الصناديق تنتظر صورة الحسناء .. »

بالطبع يقع كل خطاب (بورشيا) فى خطأ أحق ..
إذ يفترض كل منهم أن صورة حسنة كهذه لا بد أن
توجد فى صندوق من ذهب أو فضة .. فقط بطل
المسرحية هو الذى يفتن للمغزى الأخلاقى للموقف ،
ويختار الصندوق المصنوع من رصاص .. وبالطبع
كان هو الصندوق المطلوب ..

« أتذكر أيضاً

فى غيظ قالت (هيام) :

- « وحياة والدك لسنا الآن فى ندوة ثقافية .. »

كتمت خواطرى وصمت .. وكنت أوشك أن أحكى قصة (ستوكتون) الشهيرة عن الباب الذى تنتظر أميرة جميلة خلفه ، والباب الذى ينتظر نمر شرس خلفه .. وعلى الأسير أن يختار أحد البابين .. المشكلة هى أن (ستوكتون) لم ينفه القصة قط .. بل أعلن أنه عاجز تماماً عن إنهاؤها ، لهذا يفضل الانسحاب ، تاركاً الأمر لخيال القارئ !

قال الأستاذ (محمود) وهو يعيد حشو غليونه :

- « بل الموقف يحمل روائح من مئات القصص فى التاريخ ، ومنها قصة ذى اللحية الزرقاء الذى أهدى زوجته قصرًا به مائة غرفة ، لكنه أمرها ألا تفتح الغرفة المائة .. النتيجة هى أن الزوجة صارت حياتها جحيمًا ، ما الذى يوجد فى الغرفة المائة ؟! »

- « إن قيمة الباب المغلق عتيقة راسخة فى وجدان الإنسان ، ربما منذ اخترع الباب .. وها نحن أولاء نواجه الموقف ذاته بوضوح وفجاجة لم يسبق لهما مثيل .. »

ونظرت إلى العيون من حولي ، وابتلعت ريقى ،
وقلت .. »

- « السؤال هنا هو : ما الذى نتوقعه لو فتحنا
الباب الخطأ ؟ »

سأل الأستاذ (محمود) الزوجة فى رفق :

- « هل زوجك يفهم شيئاً فى المفرقات ؟ »

ابتسمت ابتسامة مريرة بزاوية فمها ، وغمغت :

- « هل تمزح ؟ بالطبع لا .. »

- « وهل هو بارع فى الأعمال المنزلية ؟ »

- « كان ! لكن وضعه الاجتماعى وانشغاله لم يعودا

يسمحان له بإصلاح صنبور المطبخ ، أو تركيب كشاف

من (نيون) لو كان هذا ما تعنيه .. على كل حال أنا

لا أثق فى قدرته على عمل شىء بالشكل الصحيح .. »

قلت فى لهجة ذا مغزى :

- « هذا هو بالضبط ما جعله يضعك فى قائمة

الانتقام هذه .. يبدو أنه تحول بالنسبة لك إلى آلة

لجمع المال لا أكثر .. »

رشفتم رشفة من قدح الشاي الذى تمسكه بكفيها

معاً ، وقالت :

- « الحق ما تقول .. أحياناً كنت أتمنى ألا يعود إلى الدار .. فهذا يضيع بعض وقت جمع المال .. ربما كان من الأفضل أن يرسل ما يكسبه إلى الدار بحوالة ! »

ابتسمت .. فلم أتوقع هذه الصراحة منها .. وكانت هذه - مع إتهيار (هيام) - هى النوادر الأولى لما سيكرر كثيراً فى هذه الليلة السوداء : انتزاع أفتحة الحضارة واحداً تلو الآخر .. الظهور دون أى قناع اجتماعى من أى نوع .. حقاً هى تجربة فريدة ..

★ ★ ★

من جديد تساعل الأستاذ الكبير :
- « ما الذى نتوقعه لو فتحنا الباب الخطأ ؟ »
- « لن نعرف أبداً .. لكن الحلول السهلة مثل نمر حبيس ، أو بعوض يحمل الحمى الصفراء ، أو قنبلة تطيح بنا ؛ كلها تبدو خيالية جداً وبعيدة جداً .. »
- « إذن هو يمزح .. »
- « مستحيل !! »

من جديد قالتها الزوجة فى ثقة ، وكررت مسلمتها
الشهيرة :

- « زوجى لا يمزح أبداً .. »

قلت أنا وأنا أضع قدح الشاي :

- « ليكن .. علينا الآن أن نختار ما بين البقاء
هاهنا ، أو تجربة أحد هذه الأبواب .. والسؤال هو :
أى باب ؟! »

تبادلنا النظرات .. حقاً لم يكن هناك من يملك
الإجابة .. باب مكتب .. باب غرفة السينما (وهو
موح بشيء ما) .. وباب غرفة المعيشة الصغيرة ..
كلها أبواب كآية أبواب أخرى ، ولا يميزها شيء ..
وفى ثقب مفتاح كل باب منها استقر مفتاح برىء
المظهر فاخر إلى حد مستفز .. كأنما يدعونا بصمت
إلى الدخول ..

ساد الصمت برهة (والبرهة كما يقول اللغويون
فترة طويلة من الوقت ، لا كما هو شائع .. الهنيهة
هى ما يعبر عن الفترات القصيرة) .. ثم تكلم الأستاذ
الصحفى فى تودة ، وكان ما قاله معقولاً :

- « لن نفعل أى شىء .. سننتظر .. وحتماً سيبحث
أحدهم عنا .. سيجئ واحد من مكان ما .. بائع ..
محصل كهرباء .. ضيف .. ولسوف يقرع الجرس
عندها »

صاحت (هيام) :

- « لكن هذا يحتاج إلى وقت .. على الأقل لن
يحدث قبل شروق الشمس .. »
- « وما هى المشكلة ؟ نحن هنا مستمرون فى
حفلتنا البهيج نتبادل مناقشات ممتعة .. البيت ملىء
بالطعام والشراب .. حتى الطرب موجود هاهنا .. »
وأشار فى ملاحكة إلى المطرب ، فابتسم هذا فى
عصبية ..

قلت وأنا أخلع سترتى :

- « لا بأس .. يبدو لى هذا حلاً مناسباً بالنسبة
لأشخاص لا يسأل عنهم أحد ، ولا يهم أين يبيتون
هذه الليلة .. »

وبدأت الجلسة الثانية لنا ..

حقاً لم يكن المرح ثامننا فى هذه المرة ..

كانت هناك دعايات لكنها مخنوقة خجول ، وحاول المطرب أن يدندن شيئاً ما .. لكن مزاجه كان متعكراً بحق .. هؤلاء المطربون الجدد لا يمكن لشئ أن يمنعهم من الغناء سوى القنبلة الهيدروجينية ، ومعنى صمته هو أن ما نمرّ به هو بحق كارثة ..

فى النهاية هبطت موجة المرح كما ارتفعت ، ولم يبق من البحر سوى سطح راكد قلق صموت ..

وبمرور الوقت تحررنا من وقارنا أو نسيناه .. نزعنا (هيام) حذائنا ، ووضعنا ساقاً تحتها وهى جالسة ، وفك الأستاذ التصفى ربطة عنقه ، على حين نسى المطرب التعبير الولهان الأسيان على وجهه ، وبدأ أكثر مرحاً وأقل رقة ، حتى توقعت أن تنزع مدام (ناهد) جمعتها الصفراء الثقيلة كى تريح رأسها قليلاً ، أو يمد المخرج العجوز يده فى فمه ليخرج طاقم أسنانه ويلقيه فى كوب الماء أمامى ..

كانت مدام (ناهد) أكثرنا راحة طبعاً ، فهذا بيتها .. لهذا نهضت مراراً ، ونسلت وجهها ، وعادت لنا أكثر من مرة حاملة شيئاً يؤكل أو يشرب .. ثم تجرأت أكثر فأعلنت :

- « من يرد استعمال الحمام يمكنه هذا .. »
وكانت هذه هي جملة الخلاص لنا .. لحسن الحظ
أن زوجها المخبول لم يضمّ باب الحمام إلى القائمة ..
لن نموت باحتباس بولى على الأقل ..
بدأت (هيام) تغفو بعد كل الطاقة الهستيرية التي
بذلتها ، فأ راحت رأسها على كتف الشاعرة ، وغابت
عن الوجود ، وهنا نهضت (ناهد) فجلبت غطاءً
صغيراً من (التريكو) فرشته على ركبتها .. وعادت
للجلوس ..

قلت وأنا أتأمل الأبواب فى شرود :
- « الرعب خلف باب مغلق .. لقد جربت هذه
القصة مراراً .. وكانت آخر مرة فى (رومانيا) فى
كهف مظلم .. كان الباب يقود لعالم شيطانى يسمونه
(جانب النجوم) منه يجىء مصاصو الدماء إلى
عالمنا ! »

- « هراء ! »
قالتها الشاعرة فى اشمئزاز ، وأشعلت لفافة تبغ
أخرى ..

لم أعلق لأن الجدل مع هذه السيدة مضيعة للوقت ..
أحياناً يكون من الذكاء ابتلاع الإهانات .. خاصة إن
لم ينتج هذا عن ضعف ..
قال الكاتب الصحفي :

- « ما من أحد منا إلا وكانت له تجربة رهيبة مع
باب مغلق .. الباب الفاصل بين عالمين .. بين الجهل
والمعرفة .. بين الرعب والتوجس .. بين الانتظار
ونهاية الانتظار .. »

نظرت إلى الجالسين ، وقلت :
- « هذه فكرة لا بأس بها لتمضية الوقت .. لم
لا يحكى كل منا قصته مع الباب المغلق ؟! »
- « ربما لا توجد قصة .. »

- « أشك فى هذا .. من يدري ؟ إن عدم وجود
قصة هو قصة مسلية فى حد ذاتها .. »
تساعل المطرب الصاعد ، وهو يضع عوده جانباً ،
كأنه (معبد) وقد فرغ من تعليم المقامات لـ (دناتير) :
- « ما جدوى هذا ؟ »

قلت وأنا أنزع حذائى لأتربع على الأريكة :
- « جدواه ألا يشعر بمرور الوقت أولاً .. جدواه

أن نزداد حكمة ويتسع خيالنا .. جدواه لى أن أعرف
أكثر .. ظننت هذا السؤال لا يجىء من فنان ، وقد
امتلاً العالم بمن يشكون فى جدوى الفن أصلاً .. »

ولكنى فى سرى لم أجرؤ على اعتبار هذا الفتى
فناناً .. الفن كما أفهمه شىء أكثر رقيًا وشفافية
ونورانية .. الفن هو ما يصنعه (رينوار) و (فان
جوخ) و (صلاح طاهر) و (موتسارت) و (عبد الوهاب)
و (لورانس أوليفيه) و (محمود مرسى) ..

نقطة ثانية لا تخلو من الحذقة : (الفنان) هو
الحمار الوحشى فى اللغة العربية ، أما ما نغنيه هنا
فهو (المُنْعَن) .. وهو نموذج آخر للخطأ الشائع حين
يصير هو الصواب الوحيد .. ويحتاج الأمر إلى
شجاعة غير عادية كى تكافحه ..

قال المخرج العجوز :

- « لىكن .. إن الفكرة تروق لى ، وربما ألهمتنى

بعض أفكار جديدة ! »

(أدعو الله ألا يحدث هذا ، وإلا كانت سهرة مملة
حقاً) .. قتلها فى سرى ، ثم طلبت أن يبدأ السرد من
سيبدأ ..

- « ومن يبدأ ؟ »

فى تواضع قال المخرج وبلهجة من ينتظر تزلفاً
ممائلاً :

- « لو كان بالأكبر سنأ فهو أنا .. ولو كان بالأكبر

مقاماً فهو الأستاذ (محمود عونى) ! »

قلت دون أن أوجه له أية مجاملة :

- « إذن يمكنك البدء يا (سمير) !! »

★ ★ ★

وهكذا دارت حلقة الرعب الرابعة

ترى كيف دارت ؟!

★ ★ ★



الباب الأول

« موعد مع الأستاذ »

يفتحه : « سمير الصياد »

« هذه القصة لن تنتهى إلا بنهاية من اثنتين :
إما أن الأستاذ يستعين بالسحر ، أو ما هو
أسوأ كى يصل إلى إلهامه ، وإما أنك ستظن هذا
ثم يتضح أنك مخطئ ! »

راح (سمير الصياد) يلهث ، ويشهق وقد سبّل
عينيه ، ممعناً فى التهافت كعادته .. وكأنما يقلّد
(عبد الحليم حافظ) فى أفلامه القديمة ، حين كان
يصارح محبوبته بأنه مريض بمرض مميت ..
قال وهو ينظر للسقف :

- « قصتى مع الباب المغلق ؟ يا لها من قصة ! »

★ ★ ★

بيت الأستاذ (عزت عبد الحميد) ..
كنت واقفاً هناك أمسح حذائى ، فى مؤخرة ساقى
سروالى ، وترتجف يدى فى عصبية على العود ،
وبصعوبة أتمالك أعصابى ..

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى أجيء فيها إلى
هذه (الفيلا) الفاخرة فى حى (الزمالك) .. لقد
جئت هاهنا مراراً .. اشتريت أكثر من رغيف (طرب)
من الكبابجى الذى يقع محله فى بداية الشارع ،
وأمشى حالماً حتى (فيلا) الأستاذ لأقف فى الظلام
وسط غطاء أوراق الشجر .. ألتهم (الطرب) وأشعر
به ينفذ إلى روحى مباشرة .. فأحلم

أمضى ساعة أو بعض ساعة فى المكان ذاته ، ثم
أرحل مدندنًا بالأحلام ، وقد اكتسى كتفا قميصى
بفضلات الطيور التى تغفو بكثافة فوق الأشجار ..
(طرب) و (طيور) و (موسيقا) .. يا له من
مزيج جميل ! لقد قضيت معه أعوامًا ، وفى روحى
امتزج مذاق (الطرب) بأعذب الألحان ..
لكن هذه هى المرة الأولى التى أجبئ فيها لبيت
الأستاذ (مدعواً) ..



كانت بدايتى هى بداية أى مطرب شاب .. نشأت
فى قرية قرب (الدلنجات) بالبحيرة ، ومنذ طفولتى
قيل لى إن صوتى يمتاز بشيء ما ..
وفى العشرين من عمرى بدا أننى لن أصلح لشيء
إلا أن أكون مطربًا ، ونزحت إلى (القاهرة) لأدرس
الموسيقا ، وأقيم فى فندق رخيص من فنادق القباقيب
إياها ..

اشتركت فى عدة حفلات ، ووقعت فى أكثر من
قصة حب كنت أنهيتها دومًا - حين أملها - بأن
أصارح المحبوبة بأتنى مريض بالسرطان ، وأغنى
لها فى شجن :

- « كنت أتمنى يطول العمر ، وأعيش ليااليه »
ثم أنصرف دامعاً وهى دامعة ، لأشتري شطيرتى
فول من (مسعد) ، وألتهمهما فى العشاء ، ثم أنام
قرير العين ، أفكر فى حب جديد !
رباه ! لقد كانت أياماً جميلة ..
على أن أكثر من قائل صارحنى بأننى أضيع شبابى
بحق .. صوت جميل كصوتى يستحق أن أكرمه بلحن
جميل أو أجمل .. لم يكن لدى ملحن سوى واحد من
سنى يدعى (عباس) ، ولم يكن واعدًا جدًّا ..
ونصحونى بأن أحاول الاتصال بالأستاذ (عزت
عبد الحميد) .. فهو يجيد تلميع المواهب الجديدة
وصقلها .. ثم إنه متهاود فى أسعاره مع الشباب
ولطيف المعشر كما قالوا ..
حصلت على رقم الهاتف مذهولاً مبهور الأنفاس ،
وحاولت مراراً أن أحصل على موعد ، لكنه كان
يصغى لى ببرود ، ثم يقول عبارته الشهيرة : (ربنا
يسهل) أو يعتذر فى تهذيب أو غلظة ..
ذات مرة طلب منى أن أنشد فى الهاتف مقطعاً من
أحد الموشحات ، ولم أكن مستعداً له .. بعد ما أصغى

إلى غمغم شيئاً عن عدم حاجته لأكل البيضة كلها كي
يعرف أنها فاسدة ..

لكنى لم أياس ، ولم أقنط ..
وفى النهاية وافق على مقابلتى فى تمام العاشرة
مساءً ذلك اليوم السعيد ..



نزلت من سيارة الأجرة - وكنت فى حاجة لذلك ،
لأن العود معى - ملهوفاً متلاحق الأنفاس ، ورحت أرمق
الفيللا ، الجاثمة فى الظلام كأنها المجد ينتظرنى ..
دنوت من البوابة الحديدية فقرعت جرساً ، ونظرت
إلى ساعتى .. إنها العاشرة وخمس دقائق .. تباً !
شعرت فى لهفتى أن هذه الدقائق الخمس قد تكون
السبب فى انهيار مستقبلى الفنى ..

جاء بواب لا يرتدى الجلباب ففتح لى الحديقة ،
وكانت هناك كلبته تحاول الوثب لتمزيق أحشائى ،
لكنه منعها فى رفق ، واسمها كاية كلبة تحترم نفسها
هو (توسكا) .. لا بد أن هناك قانوناً يمنع تسمية
إناث الكلاب باسم آخر ..

اجتزت المدخل الذى تم رصفه بقرميد صغير
ملون ، وتناثرت على جانبيه مصابيح سوداء أثيقة ،
كمصابيح الشوارع لكنها أجمل بالطبع ..

شعرت بضالة حقيقية .. ترى كم أغنية ناجحة يجب
أن أقدم قبل أن أمتلك ثمن ثلاثة عواميد من هذه ؟

هنا رأيت من يمشى بين النباتات خارج المنزل ،
ودنوت منه فعرفته على الفور .. إنه الأستاذ بشحمة
ولحمة كما اعتدنا أن نراه فى كل وسائل الإعلام ..
أنتم تعرفون منظره المهيّب دون شك .. الشعر الأبيض
الناعم المنساب كخيوط الفضة .. النظرة (اللوردية)
الأرستقراطية من وراء العوينات .. الشامة الزرقاء
فوق حاجبه الأيمن .. ربطة العنق التى يرتديها بكامل
أناقعتها تحت روب قصير براق ..

فما إن رآنى حتى وقف ويداه فى جيبي الروب ،
وغمغم باتبهار :

- « (سمير) .. (سمير القرموطى) .. أليس
كذلك ؟ »

احتبس الكلام فى حلقى ، فأشرت لصدرى فى
بلاهة أنه أنا ..

قال فى وقار ، وهو لا يكف عن تأمل وجهى
بفضول :

- « هذا ليس اسماً فنياً .. (سمير الصياد) ..
هذا هو اسمك الجديد .. لم نبتعد عن البحر والقراميط
كثيراً ! »

وطوح برأسه للوراء وانفجر فى قهقهة معدنية
مجلجلة كما يظهرن بأشوات ما قبل الثورة فى
السينما .. وقبلت أنا فى كثير من التواضع والحياء
عملية تبديل اسمى التى لا دخل لى فيها ..
ولحقت به إلى داخل الفيلا ، بينما هو يتكلم فى
حرارة :

- « كنت أعنى بزهورى .. أنت لا تتصور حساسية
البنفسج لهذا الجو الذى نمر به .. ثم إننى كتبت لك
لحناً لا بأس به ، وكنت أعزم أن أضع عليه لمساتى
الأخيرة فى ظلام الحديقة .. »

ثم - دون تحفظ - راح يندن بصوت عال :

- « راتاتاتارا راتاتين .. راتاتاتارا راتين .. »
وصمت قليلاً .. ثم قال :

- « أنا لو أنساكى حافتكر مين ؟ من بعد هواكى
حياتى أنين .. هذه هى الكلمات التى تصلح لهذا
الوزن .. سأقترح عليك اسم شاعر مناسب من
يجيدون تركيب الكلمات على الألحان لا العكس ..
وهو سيعمل لك القصيدة إلى آخرها .. »
وكان هذا هو ميلاد أغنيتى الجديدة ، التى اشتهرت
بها لأول مرة فى حياتى ..

كيف كان حالى فى هذه اللحظات ، ومع هذه المودة
الزائدة ؟ طبعاً يمكننى أن أوفر هذا الغناء على نفسى ..
كنت ذاهلاً فاقد النطق تقريباً .. لقد اختارنى الحظ
فجأة كى يقدم لى كل شىء ، ولا أعرف التفسير ..

★ ★ ★

كانت غرفته كما تخیاتها بالضبط بلا زيادة
ولا نقصان ..

يوجد أكثر من عود مزدان بالعاج على الحوائط ،
مع صورة عملاقة له وهو يبتسم فى غموض ... صورة
لم أحسب قط أن حجمها ممكن .. كما أن هناك حوالى
خمسة أجهزة تسجيل من ماركات مختلفة ، وبعض
نباتات الظل أمام نافذة عملاقة تحتل جداراً كاملاً ،

ولا يظهر منها الآن سوى سواد الليل تنتثر فيه
أضواء الحديقة ..

قال لى وهو يجلس واضعاً ساقاً على ساق :
- « مشكلتك أنك تقلد (عبد الحليم حافظ) أكثر
من اللازم .. وهذا لن يقودك لأى مكان لأن الأصل
موجود وفعال .. عليك أن تتميز ولا تمتاز .. عليك
بالبحث عن طابع جديد .. »

وهنا دق جرس الهاتف ، فرفع السماعة وراح
يتكلم مع أحدهم فى عبارات سريعة مقتضبة لم أفهم
منها الكثير ..

اختلست النظر إلى الحجرة من حولى .. كان
حجمها هائلاً يذكرنى بدوار العمدة فى قرىتى ، لكن
باباً ضخماً كان ينتظرنى فى الركن .. ولا أدرى سبب
ذلك ، لكنى لم أستطع إبعاد عيني عنه ..
انتهت المكالمة ، فوضع السماعة وشرد بذهنه
قليلاً ..

بعد هنيهة قال وهو يمتص إبهامه :
- « هذا (عادل شفيق) يريد تعديلاً فى لحن
أغنيته الأخيرة .. »

بانبهار الأغبياء صحت :

- « الأستاذ (عادل شفيق) شخصياً ؟ المطرب ؟

ابتسم فى سخرية :

- « طبعاً يا بنى .. لا حاجة لى إلى معرفة طبيب

أسنان بهذا الاسم .. أرجو أن تمهلنى لحظة .. »

ونهض فى تودة متجهاً إلى ركن القاعة ، حيث

كان الباب الخشبى الضخم الذى لم تفارقه عينائى ..

فتحه ، وللحظة رأيت ضوءاً أحمر غريباً يخرج من

ورائه ، وفى اللحظة التالية كان الباب قد اتغلق

وجلست وحدى ..

وضعت العود الخاص بى على الأريكة ، ورحت

أتأمل المكان .. لشذ ما تمنيت رؤية عملية الخلق

لدى هذا الرجل العظيم .. يقول من يعرفون (محمد

عبد الوهاب) إنه لا يكف عن الزوام كالمقطط فى سره ،

من فرط الألحان التى تحتشد فى ذهنه .. ويقول من

عرفوا أمير الشعراء (أحمد شوقى) إنه دائم الشرود ،

وكثيراً ما يخرج علبة التبغ ليدون عليها بخط صغير

بعض أبيات أتاه وحيها فجأة ..

ترى ما هو دور الوحي فى حياة الأستاذ (عزت

عبد الحميد) ؟

إته لمشهد مثير حقاً.....

جلست أنتظر .. أصخت السمع والخيال إلى
ما وراء الباب المغلق ، وهنا خيل لى أننى أسمع
صوتاً غريباً .. صوتاً أقرب إلى شهيق الغريق فى
اللحظات المريرة التى يرتفع فيها لسطح الماء ،
فيحاول أن يعبّ الهواء عبّاً ، فلا يجنى سوى ملء
رئتيه بالفقايع ..

هآآآآآه ! هآآآآآه ! هآآآآآه !

وتكرّر الصوت نحو عشر مرات .. ثم دوى صوت
شئ يسقط أرضاً ..
بوم !

★ ★ ★



أننى أسمع صوتاً غريباً .. صوتاً أقرب إلى شهيق
الغريق .

قال (سمير الصياد) بصوته المبحوح :
هرعت إلى الباب فدققتَه فى أدب مرارًا ، وقلت :
- « هل من شىء أفعله يا أستاذ ؟ هل أنت بخير ؟ »
مرّت فترة أطول من اللازم ، ثم سمعت الباب ينفتح
ورأيتَه يخرج ..

كان فى أحسن حال .. بأناقته المعهودة وانتعاشه ،
لكن شيئاً من التحفظ سرى إلى أسلوبه فى الكلام ،
وقال لى :

- « لا داعى للقلق .. فلا أجد ما يدعوك للسؤال .. »
ثم دعانى إلى الجلوس ، ومدّ يده إلى عود مزخرف
ملقى على إحدى الأرائك ، فراح يدندن عليه لحناً لم
أعرفه ، وثنى جذعه ليدوّن شيئاً من نوتة موسيقية
على بعض الأوراق أمامه ..

ثم حرك شفتيه فى استمتاع كمن يتلمظ :

- « هكذا .. لا بأس على الإطلاق .. »



قلت للفتى وأنا أفرد ساقى طلباً لإراحتهما :

- « هذه القصة لن تنتهى إلا بنهاية من اثنتين :
إما أن الأستاذ العظيم يستعين بالسحر ، أو ما هو أسوأ
كى يصل إلى إلهامه ، وإما أنك تظن هذا ثم يتضح
أنك مخطئ ! »

ابتسم المطرب الشاب كمن حوَصِرَ فى ركن من
الحلبة ، وقال :

- « هكذا لا تترك لى مجالاً لإكمال قصتى
يا د. (رفعت) .. إن قصتى أغرب على كل حال .. »
هنا تدخل الأستاذ (محمود عونى) :

- « لا يجب أن تكون كل القصص جديدة لا يمكن
التنبؤ بنهايتها يا د. (رفعت) ، وإلا كان من الخير
لنا أن نظل صامتين .. »

قلت فى شىء من خجل :

- « معذرة .. لكنى إن اشتهرت بشىء فبسرعة
الملل .. يخيل إلى أن كل ما يحدث ويُقال من حولى ،
قد حدث وقيل من قبل ، لكن الناس جميعاً نسوا
ما عداى ! »

حقاً .. كان هذا هو الشعور الذى ضايقتى طيلة
حياتى ..

فى التسعينات كتبت الصحف عن حادث الزوجة
اللى قُلت زوجها ، ووضعت أشلاءه فى أكياس
بلاستيكية .. أصيب الناس بالهلع ، وراحت الصحف
تكتب عن (الدموية التى تسربت إلى نفسية رجل
الشارع) وعن تغير أنماط الجريمة فى (مصر)
وعن

لم يصدقنى أحد حين قلت إن هذه الجريمة حدثت
مراراً فى الثمانينات والسبعينات والستينات ، وربما
كانت تحدث قبل اختراع الأكياس البلاستيكية ، لكن
الجميع نسوا ببساطة ، وصرت أنا المخبول الوحيد ،
وغير هذا كثير ..

ولكن دعونا نصغ لقصة الفتى إلى نهايتها ..

★ ★ ★

قال (سمير الصياد) بصوته الولهان :
- « توطدت صداقتى مع الأستاذ ، ورحت أتردد على
داره ثلاث مرات أسبوعياً .. وأخيراً جاءت اللحظة التى
دخلت فيها (ستوديو) الصوت كى أسجل رائعى الأولى ..
« أنا لو أنساكى حافتكر مين .. » ، وبعدها قدمت
رائعى الثانية : « الحب اللى جاتى .. غير الأولانى ! »

بدأت الشهرة تنمو ببطء ، واشترت سيارة نصف
عمر ، ودعيت إلى بعض حفلات ، حيث كان عدد
الزوارح به راغباً فى سماع (الحب اللى جاتى) .. وفى
الواقع كنت مديناً للأستاذ بكل شىء .. حقاً صدق من
قالوا : إنه هو الحل السحرى للمبتدئين فى الغناء ..
بشرط أن تروق له أولاً !

وضع ألف خط تحت هذه العبارة .. لماذا اختارنى
الرجل بالذات بعد ما وصف صوتى بأنه (بيضة
فاسدة) ؟ ولماذا احتفى بى كل هذه الحفاوة .. قد
يقول قائل : إنه غير وجهة نظره فى صوتى ، ولكن
متى أعاد سماعه ؟

دائماً ظلت علامة الاستفهام معلقة .. بلا جواب ..



علامة الاستفهام الثانية كانت تحيط بالبواب

المغلق ..

ما الذى فعله الرجل خلف هذا الباب المغلق ؟ فى
كل مرة يبحث فيها عن إلهام جديد كان يعتذر ، ثم
ينسحب إلى هناك ، وتمرّ دقائق بعدها يعود إلى
الجواب .. والجواب دائماً جميل متقن

هنا تدخلت - أنا (رفعت إسماعيل) - فى الموضوع ،
وسألته :

- « هل أنت واثق من أن ما خلف الباب المغلق
ليس دورة مياه ؟ كثيراً ما يجيء الإلهام فى الحمام
للعظماء ! »

ابتسم (سمير) كأنما كان يتوقع هذا ، وقال :
- « كل الثقة .. الناس لا تشهق فى الحمام
كالغرقى ، وتدخل فى إغماءة .. هذا هو الصوت الذى
أسمعه .. »

- « حقاً هذا غريب .. وبالطبع قمت أنت بفتح
الباب يوماً .. »

- « كيف عرفت ؟ »

- « أنا أعرف البشر .. لقد قتل الفضول القط كما
قال الإنجليز منذ دهور .. »
- « حقاً فتحت الباب .. »

وشردت عيناه إلى بعيد .. كان يتأمل المقبض
الذهبي الغليظ ..



لقد تركه الأستاذ ، ودخل الغرفة المغلقة ، ولبضع دقائق ظل جالساً وحده يتأمل الباب فى نهم ..
المقبض الذهبى - المذهب للدقة اللغوية - الذى ينتظر يدا جريئة تفتحه ..

أخيراً سمعت صوت الـ (هاآآه ! هاآآه !) المميز ..
بعده صوت الارتطام المدوى ، وكانت هذه هى اللحظة المناسبة ..

وثبت إلى الباب وفتحته ، وبحذر سكبت عيناي من
الفرجة الضيقة التى أحدثتها ..

كانت غرفة ضيقة جداً كأنها القبر ، باردة إلى حد
لا يمكن تصديقه ، جدرانها حمراء تماماً ، عليها
زخارف غريبة غير منسقة ..

أما أغرب شئ فى الموضوع فهو أنها كانت خالية
تماماً .. لم يكن بها أحد ، ولم يكن الوقت كافياً كى
أبحث عن مخابئ فى أى مكان بها ..

تملكنى الهلع بحق ، وفى اللحظة التالية قفّ شعـر
رأسى ، لأننى لمحت ما يشبه التجسد فى مركز
الحجرة .. التجسد الذى يتخذ هيئة إنسان ملقى على
وجهه على الأرض ..

أغلقت الباب وعدت لمكاتى ، وأنا أنتفض
كورقة ..

★ ★ ★

حقاً لم يكن الأستاذ بشرياً ..
لم يكن ينتمى لعالمنا ، ولا قواعدا المادية الصارمة ..
لقد اختفى بلا تفسير من غرفة مغلقة ، وهو
لا يجيد ألعاب الحواة ، ولو كان يجيدها ، فلماذا
يمارسها وهو وحيد ؟!

واتفتح الباب أخيراً ليدخل الأستاذ ، وفى هذه المرة
لم أستطع حتى أن أتحمل لمسة ساقه لساقى ، وهو
يحتك بها فى أثناء عودته لمجلسه ..

كنت أخشاه كثعبان ، ولكنى حرصت على ألا يرى
هذا فى وجهى ، على أن أبادر بالفرار عند أول
فرصة ، فلا أعود هاهنا أبداً ..

راح يدندن كعادته محاولاً تذكر إلهامه الأخير ..
كتب ما قال فى ورقة صغيرة ، ثم سألتنى عن سرّ
شرودى ، فابتكرت إجابة مرتجلة :

- « إنه الاكتئاب .. الاكتئاب .. ربما الخوف من ألا
أقدم جديداً .. »

نظر فى عينى طويلاً حتى كدت أصرخ ، ثم — دون
مقدمات — سألتنى :

— « هل تؤمن بالجان ؟! »

★ ★ ★

سؤال غريب فى لحظة غير مناسبة على الإطلاق ..
قلت له بعد ما بلغت ريقى :

— « الجان المذكور فى القرآن الكريم .. هذه إجابة
كافية على ما أظن .. »

عقد يديه على صدره ، واسترخى فى مقعده ،
وقال :

— « لنضع السؤال بطريقة أخرى .. هل تؤمن
بقدره البشر على تسخير الجان ؟! »

— « لا أدرى يا سيدى .. لا أدرى .. »

ما الذى يرمى إليه ولأية ورطة يقودنى ؟
قال وهو ينظر إلى السقف :

— « قديماً كان العرب يعتقدون أن الشعراء يأتهم الإلهام
من جان وادى (عبقر) .. فيما بعد كثر التعبير عن
الإلهام بـ (جنية الموسيقى) و(شيطان الشعر) و ... و ...
هل تعتقد أن كل هذا خال من الصواب ؟ »

قفَّ شعر رأسى إذ فكرت فى معنى هذه المحادثة ..
لقد صار الموضوع واضحاً إذن ..

نهض وراح يذرع الغرفة جيئة وإياباً ويداه فى
جيبى روبه ، وقال كأنما يكلم نفسه :

- « هذه هى الطريقة .. هكذا يتحول موسيقار
نصف موهوب مثلى إلى عبقرى ، ببساطة حين يتعلم
الطريقة المثلى ، وحين يقبل أن يحمله الجان إلى
مملكتهم الجهنمية .. إن الأمر غريب لا يصدق ، لو
رأيتَه لحسبته نوبة صرعية .. أما بالنسبة لموضوع
التجربة ، فالأمر شبيه بالموت .. بانتزاع الحياة من
حلقومه .. »

وابتسم ابتسامة خبيثة ، والتفت لى :

- « هل تحسبنى أحمق ؟ لماذا لم أغلق الباب على
نفسى ؟ لماذا تركتك تتسلل كما يتسلل القط إلى
المطبخ ، ليسرق فخذ الدجاجة ؟ لأنك مثلى تحمل
العلامة .. يقولون إن هناك علامة .. وهذه العلامة
ترشح المختارين للاتصال .. أنا رأيتها حين قابلتك فى
حديقة الفيلا ، وكنت أزمع طردك بشيء من الرفق ..
عندها تغير مسلكى تماماً ، كما لا بد أنك لاحظت ؛ لأننى

عرفتك على الفور .. العلامة ! لا شيء يميزنا سوى
هذه العلامة ! »

وأشار إلى الشامة الزرقاء فوق حاجبه الأيمن ..
عندها سقط قلبي فى قدمي ، وتحول عمودي
الفقرى إلى عمود من الجليد ..

أنا أملك شامة مماثلة .. هذا هو السرّ إذن ..

قال فى شيء من الشراسة :

- « والآن لا توجد أنصاف حلول : أنت معنا

أم ضدنا ؟ اختر ! »

- « لاااه ! »

قلتها وأنا أثب كالزنبرك من مقعدى ، ونظرت
لوجهه فوجدت أنه قد تبدل إلى حدّ مروع .. لم أره
من قبل بهذه الشراسة والتوجس ..

وفى ثوان كنت قد اندفعت إلى الباب ، إلى الحديقة ،
إلى باب الفيلا الحديدى ، ورحت أضربه وأهزه فى
جنون .. بينما الكلب ينبح ، والبواب يحاول إقناعى
بالانتظار حتى يفتح لى بالطريقة العادية المحترمة ..
بعد لحظات كنت قد ابتعدت كثيراً جداً عن المكان

والزمان والحدث ..

★ ★ ★

ومن يومها لم تلمس قدماى شوارع الزمالك ..
صحيح أننى لم أكف عن الغناء ، وكانت لأغنيته
لمسة لا بأس بها فى حياتى الفنية ، لكنى - وهذا
مفهوم - لم أكن على استعداد قط لرؤية وجهه من
جديد ..

كثيرون تساءلوا عن سبب انقطاع صداقتنا ،
وأقنعوا أنفسهم بأن الرجل قد انتظر منى أشياء ،
وتوسم فى صوتى أشياء ، لم أحقق منها شيئا ..
وبالتالى قرر أن يتخلص منى ..

لكنى لم أتكلم .. فقط رحت أحاول أن أجد جراحا
بارعا يزيل تلك الشامة فوق حاجبى .. لكن الأطباء
نصحونى بالأفعل .. إن الجراحة قد تترك أثرا لا يفضل
الشامة فى شيء ..

وحكىة القصة لأحد المطربين ، فأغرق فى الضحك ،
وقال :

- « هل نجح فى خداعك ؟ إن الأستاذ يداعب ضيوفه
مداعبات عملية قاسية ليست هذه أسوأها .. وأعتقد
أنه ملّ صداقتك ، فقرر أن ينهيها بفاصل تمثيلى جيد
يحكيه لضيوفه فى سهرة ضاحكة .. »

- « والاختفاء ؟ »

- « إنه ثرى ويملك القدرة على بناء أكثر من جبٍ
سحري فى تلك الغرفة .. هذه الأعيب حواة .. »
لكنى لم أنس قط ، ولم أجد تفسيرًا ..

لو صدقنا كل هذا فكيف حدث التجسد البطيء ؟
كيف تغيرت ملامحه بهذه السرعة ، كأنما أعظم
ممثلى الكون ؟

شئ فى روحى يخبرنى أنه كان صادقًا ، وأن
ما حدث حدث فعلاً ..

لقد كان الهول ينتظرنى خلف الباب المغلق ..
وما زال ينتظرنى فى منامى كل ليلة !

★ ★ ★



الباب الثانى

« مع الحطمة ! »

تفتحه : « نادية فهم »

« كنت أراه يزحف فى بطن ، خارجاً من البحر ،
يجر جسده بصعوبة .. لكن بإصرار ، عازماً على
أن يقضى ليلته تحت سقفى ، لا يفصلنى عنه
سوى باب يملك هو وحده مفتاحه ! »

ساد الصمت إلا من أنفاسنا ، وقد راح كل منا
يتصوّر القصة فى خياله بمواقع تصوير وممثلين
مختلفين لا يجمع بينهم إلا (سمير الصياد) ..

تساءلت مدام (ناهد) فى حيرة محاولة التذكر :
- « هل (عزت عبد الحميد) له شامة فوق
حاجبه ؟ »

قال (سمير) وهو يتثائب :
- « له .. لكن لى تلاحظيها لا بد من أن تكونى
المعجبة رقم واحد به مثلى .. أو مثلما كنت .. »
قلت وأنا أتأمل الوجوه :

- « لا بأس .. فى القصة الأولى كان الباب هو
الممر إلى وادى (عبقر) ، أو ربما دعابة سمجة من
ملحن ثرى قاس .. من يحكى القصة الثانية ؟ »

كانت (ناهد فهميم) شاعرتنا الـ (فيمينست)
ترمقنا فى شرود ، وهى تريح أصابعها المصبوغة
التي تحمل لفافة التبغ على ذقنها .. فلما رأتنى أنظر
لها قالت فى ضيق :

- « أنا لا أملك قصصاً مماثلة ، ولا أنوى لعب دور
(شهرزاد) .. »

- « لكنك لا تستطيعين لعب دور (محمد على
كلای) .. إن (شهرزاد) كانت قوية بطريقتها ،
واستطاعت خداع عتل صفيق مثل (شهریار)
بقصصها الممتعة .. هذا لم يتضمن أية تنازلات من
أى نوع »

وألحت عليها (ناهد) فى رقة مصطنعة :

- « أرجوك يا (نافى) أن تحاولى ! »
(نافى) ؟ يا له من اسم غريب للتدليل .. (نادية
فهميم) قد تحولت إلى (نافى) ، فلن تنتهى الأمسية
قبل أن أتحوّل إلى جثة أو إلى (رِفْرِف) دون شك ،
وكلاهما أسوأ من الآخر ..

حولت (نادية) شفيتها إلى دائرة لتخرج حلقة
دخان كاملة الاستدارة ، لا يستطيع أعتى المدخنين
الرجال أن يصنعها ، وقالت :

- « حسن .. لدى قصة عن باب .. ولا يهمنى
الأترواق لكم ، لأننى لا أستمد ثقتى من الآخرين .. أنا
كائن متكامل و (Self-managed) أو هذا هو ما كافحت
من أجله طيلة حياتى .. »

- « أصغوا إلىّ إذن .. »

★ ★ ★

سعلت الشاعرة الغضبي (نادية فهم) مرتين ، ثم
قالت :

- « متفردة أنا .. متوحدة .. متناية عن كل
القطيع .. لكم حاولت أن ألحق بموكب السارين ليلاً ،
لكن خطاي لم تكن كخطاهم ، وقامتى لم تكن كقاماتهم ،
وأحلامي لم تكن كأحلامهم ..

لذا تفردت ، وتمثلت مقولة (راتبو) الشاعر
الفرنسى : أنا آخر .. Te Suis un autre .. »
تنحنت ، وبحذر قلت لها :

- « أ .. معذرة .. إتنا فى ظروف أسود من قلب
الكافر ، وكنا سنقدر لو تكلمت بشيء من التبسيط ..
حتى الشاعر يمكن أن يقول كلاماً عادياً أحياناً ! »
مطت شفيتها فى اشمزاز ، وقالت :

- « أ رأيت ؟ أنت كذلك واحد من السارين ليلاً .. لهذا
أشمخ برأسى فى عليائى - حيث يحلم الطحلب الزغبى -
وأزديكم يا سادة .. صديقة أقولها .. حارة أقولها ..
لا هبة أقولها ! »

★ ★ ★

« بحياتى أبواب عشرة ...
وحكايا عن جيش البربر ..
والباب الموصد فى قلبى ..
يتخذى فرسان الغازى ..
من منكم يذنو ؟
أو يجسر ؟ »



ربما تعلمون أننى تزوجت مرتين ، وكان الطلاق
هو النهاية فى كل مرة .. إن الرجال لا يحتملون
المرأة التى تطالب ألا تعامل كامرأة ..
هاك يا صغيرتى ما سيحدث :

سيجلس معك ، ويكلّمك عن (سارتر) وعن الوجودية ،
ويتلو أبياتاً من شعر (لوركا) ، ويقول لك كلاماً
كثيراً عن اتبهاره بعقلك ، وأنه - للمرة الأولى - يلقى
المرأة التى تبدو كامرأة ، وتفكر كرجل ..

سيقول إن حياتك معه لن تختلف عن سلسلة من
الأعياد الفكرية والمهرجانات العقلية ... لقد حان
الوقت لفهم ذلك الكائن المدعو (حواء) حق الفهم ...
سيقول هذا وأكثر يا فتاة ، وسوف تصدقين ..

كيف لا تصدقين هذه الكلمات من رجل رزين أنيق فى منتصف العمر ، عرّك الحياة وعركته ؟

ولن يمرّ وقت طويل حتى تجلسى جواره فى (الكوشة) - إلى يمينه على وجه الدقة - وأنتِ تحلمين كمراهقة صغيرة ..

بعد أشهر - لو حالفك الحظ - ستدركين الحقيقة .. إن الجمال عند الرجل أهمّ من أى عقل .. طبق الفول بالزيت على مائدة الإفطار أهمّ من كل كتابات (سيمون دى بوفوار) .. مباراة الأهلى والزمالك أهمّ من ندوة شعرية يتكلم فيها (أبو العلاء المعرى) شخصياً لو أمكن هذا ..

تدريجياً تدركين أبعاد الخدعة ، وتدركين أن الدور المختار لك هو دور الزوجة لا أكثر ولا أقل ..

ستثورين يا فتاة .. لكنك ستتلقين كلمات قاسية جداً ، ربما بعض الصفعات كذلك لو كان زوجك شرساً مثل زوجى الثانى ..

ستكون معاناة طويلة ، حتى يتم الطلاق ، بعدها تقررين ألا تكررى الخطأ ذاته .. لكن سرعان ما يظهر رجل رزين أنيق فى منتصف العمر ، يحدثك عن (سارتر) ويتلو عليك شعر (لوركا) ..

عندها تقولين لنفسك : لعل الأمر مختلف هذه
المرة ؟

★ ★ ★

تمّ زواجى الثانى فى بداية الشتاء ..
بعدها رحلت مع زوجى (هشام) - وهو صحفى
كما تعلمون - إلى شاليه فى (بلطيم) يملكه أحد
أصدقائه .. وكانت (بلطيم) فى هذا الوقت شبه
خالية من الشاليهات والمصطافين كذلك ، لأننا كنا فى
الشتاء ، وحتى فى فصل الصيف كانت الإسكندرية
- خاصة (العجمى) - هى المصيف المرموق الذى
يحلم به الجميع ..

كان الشاليه يتكون من أربع غرف .. اثنتان منهما
موصدتان بالمفتاح ، وقد تركت لنا غرفتان هما
كافيتان تماماً ..

وضعنا حقائبنا .. وقررنا الخروج للنزهة على
الشاطئ .. بالطبع ارتدى كل منا ثياباً شتوية ثقيلة ،
فالطقس لم يكن يسمح بالمزاح .. وكانت الأمواج ثائرة
كأنما ضاقت بالبحر المتوسط ، وودت لو فتحت لها
أحدهم الباب إلى المحيط ..

مشينا بضع دقائق ، وفي نفس كل منا شك
 لا يعترف به : هذه العطلة لن تكون ناجحة جداً ..
 صحيح أننا متفردان .. تنائنا عن القطيع .. لكن كل
 هذا الفراغ الأثيري لم يكن ليناسينا حقاً ..
 لقد أنهينا أكثر ما لدينا من كلمات وملاحظات
 ودعابات ، ونحن نمشي متشاكبي اليدين بمحاذاة
 الشاطئ .. خمس دقائق لا أكثر .. والمفترض أن
 لدينا أسبوعاً كاملاً ، فماذا نعمل فيه ؟
 السماء مكفهرة تنذر بالويل ، والبرد قارس ،
 وهدير الأمواج يقتل كلماتك ما إن تغادر فاك ..
 قلت له بعد ما حاولت إشعال لقافة تبغ ست مرات :
 - « فلنعد إلى الشاليه .. »
 رفع كفه بمحاذاة حاجبيه ، ونظر للأفق ، ثم قال :
 - « ثمة إناس هناك .. »
 - « إناس ؟ غريب ! حسبتي المجنونة الوحيدة
 هنا .. »

وبالفعل ازداد المشهد وضوحاً إذ دتونا أكثر ..
 كان هناك عشرة من الرجال يقفون على الشاطئ ،
 ورداذ الموج يغمرهم من أن لآخر فتحتن العيون ،

وتسعل الرئات ، تعقبها البصقات .. وكان واضحاً
من منظرهم أنهم يؤدون عملاً خطراً أو يناقشون أمراً
جللاً ..

دتونا أكثر ، ثم سمعت (هشام) يقول لى :

- « لا تنظري ! »

وكان هذا بمثابة أمر لى كى أنظر ، ونظرت ..
على الرمال رأيت ما يشبه جسداً آدمياً فى قميص
وسروال ، عارى القدمين مبتلاً تماماً .. غريق .. هذا
واضح .. غريق تأخر إنقاذه كثيراً جداً ..
كان منتفخاً ، برز لسائه وارسمت أوردته
كالشجيرات على جلده .. بينما الرغاوى البيضاء
تسيل من شفثيه ، وحقاً لم أر غريقاً من قبل ، ولم
أكن سريعة التأثر .. لكن المشهد أثار هلعى يحق ..
ما زال بوسعى أن أرسمه بدقة على الورق لو
أردت ..

كنت أقاوم هذه النوازع الأنثوية فى نفسى - دليل
عبودية قرون طويلة - لكنى لم أستطع أن أمتنع
شهقة ، ثم أدت ظهري للمشهد ، وبدأت أتهافت ..
من وراء ظهري سمعت (هشام) يتساءل :



رأيت ما يشبه جسداً آدمياً في قميص وسروال ، عارى
القدمين مبتلاً تماماً .. غريق .. هذا واضح ..

- « كيف نزل البحر فى طقس كهذا ؟! »
صوت خشن يقول :
- « لم ينزل يا أستاذ .. لكنها جذبتة ! »
- « من هى ؟ »
- « الحَطَمَة طبعًا .. ربنا يحفظنا .. »
صوت آخر يقول :
- « لابد أنه فى البحر من أسبوع على الأقل ..
حالته تقول ذلك »
- الصوت الأول يقول :
- « لا تحاول وزوجتك المشى على الشاطئ ليلاً ..
لا تؤاخذنى .. أنت غريب ، والغريب أعمى ولو كان
بصيرًا ! هذا البائس لم يعرف هذا .. أو عرفه ولم
يصدق ! »

★ ★ ★

الدفنت (نالدية) ما تبقى من لفافة تبغها فى المطفأة
الزجاجية ، ومدت يدها إلى العلبة بحثًا عن أخرى ،
فقطقت يلسانى معترضًا :

- « إن هناك وسائل أكثر رحمة للانتحار ... ليس
بهذه الكثافة .. »

والحقيقة هى أنها كانت شخصية عصابية كما خلق
العصاب .. ولو أن (فرويد) نهض من قبره ورآها
لمات قرحًا من جديد !
أحجمت .. فسألتها :

- « كانت الى مغامرة ما مع الحطمة .. إنها نداءة
البحر التى تدعو الشباب للحاق بها ، فالغرق .. هل
هذه هى القصة هنا ؟ »

هزت رأسها فى عصبية :

- « لا .. واضح أن حطمة (بلطيم) هذه كانت
من النوع الذى يخرج يده من تحت الماء ، ليقبض
على سيقان من مشون على الشاطئ .. إن أساليب
الحطمت تختلف كما تعلم .. »

★ ★ ★

قالت الشاعرة الحائقة دومًا :

- « أفسد هذا المشهد يومنا تمامًا .. كما تتوقعون ..
عدنا إلى الشاليه فتناولنا غذاءنا من المعلبات فى
صمت .. لاحظت فى اشمئزاز أن (هشام) يملأ فمه
بالطعام كالخرتيت قبل أن يبتلعه .. كان يأكل برقة
العصافير حينما كان يخطب ودى ، وكان يقضم حبة
العنب على ستّ مرات .. وبدأت أشم رائحة التحول
إياها ..

صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..
بعد الغداء لاحظت أنه يسلك أسنانه بعود ثقاب ،
ولما فشل مزق قطعة خيط من كم منامته وراح يمررها
بين الأسنان وبعضها ، على سبيل الـ (Floss) المرتجل ..
صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..

أحضر جهاز الـ (بيك أب) ، ووضعه على
المنضدة ، ثم انتقى أسطوانة لمطربة شابة اشتهرت
بأغانيها عديمة المعنى ، وكنت قد جئت بعدة ألبومات
لـ (فاجنر) و (جاتيس جوبلن) ..

صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..
أدرت أسطوانة لـ (فاجنر) ، وجلست منتظرة أن

يبدأ فى الحديث الرومانسى معى ، لا سيما لو كان
ذا طابع ثقافى .. لكنه راح يحكى دعابات سمجة
عن الحموات الشرسات ، والزوجات المتسلطات ،
و ... و ... حاسباً أن هذا يجعله أقرب لقلبى ،
وينهى كل دعابة بـ (هاع هاع هاع !) ..

صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..
جلس بمنامته ورفع قدماً يريحها على المقعد ، ثم
راح يعبث فى أصابع قدميه باستمتاع كما يحب الرجال
أن يفعلوا ..

صارحته بهذا ، فاتفجر فى ..
قال لى إنه لم يتلق كل هذا القدر من الانتقادات منذ
كان طفلاً فى الرابعة من عمره ، وإن أمه لم تبذل كل
هذا الجهد التربوى معه ، وإتنى بالتأكيد إنسانة
متسلطة قررت أن تتحكم فى كل التفاصيل ، فى أول
نصف ساعة من حياتنا الزوجية ..

راق لى هذا .. فالحرب هى أراضى التى أشعر فيها
براحة حقيقية ..

« من منكم يدنو .. أو يجسر ؟ »

بدأت معركتنا الأولى ، ولم تكن عنيفة جدًا بطبيعة الحال ، لكنها انتهت به صامتًا كالأسماك ، وبى أشعل لفافة تبغ فى عصبية ..

وفى المساء تشاجرنا ثانية مع صوت الأمواج .. فى الصباح لاحظت فى ضيق أنه يريد أن يلتهم الإفطار دون أن يغسل وجهه ، وهكذا تشاجرنا مرة ثالثة ..

عند الظهيرة تشاجرنا بعنف ، لأنه يريد أن يخرج للنزهة ، بينما أنا مصرة على أن نجلس ونستمع لـ (فاجنر) ، والأدهى أنه دعا بخراب بيت (فاجنر) وكل أحفاد (فاجنر) إلى يوم الدين ..

- « من فضلك .. أريدك أن تكون متحضرًا .. لا أسمح لك بسب (فاجنر) ! »

- « هذا خير من أن أسبك أنت أيتها المتسلطة ! »
وغادر الشاليه غاضبًا ، والحقيقة هى أننا أحرزنا سبقًا هائلًا فى عصر السرعة هذا .. لقد حققنا خلال أربع وعشرين ساعة من الجفاء والنفور ما يحققه سوانا فى عشر سنوات !

★ ★ ★

عند المساء جاعنى يتودّد ، طالبًا الصفح ، لكنى
قررت أن أواصل المعركة للنهائية ، وأعلنت رأيى فى
أنه يحاول أن يفرض على سيطرته ، وهكذا تشاجرنا
للمرة الـ ... لا أذكر كم .. وغادر الشاليه غاضبًا
معنًا أنه لن يمضى الليلة فيه ..

- « وأين ستذهب إذن ؟ »

- « هذه مشكلتى لا مشكلتك .. »

يا له من نصر ! لقد نجحت فى استفزازه إلى حدّ
أن يهجر البيت من تاتى يوم لزفافنا .. وهو نصر
لم يتحقق مع زوجى الأول إلا بعد سنة كاملة ..

وهكذا جلست وحدى ، وأدرت أسطوانة (فاجنر)
بأعلى صوت ممكن ، ثم رحت أقرأ أشعار (إليوت) ،
وأنا أقول لنفسى : حقًا لم أنخدع ، وكانت توقعاتى
صائبة .. كل الرجال سواء .. ما إن تغمدى سيفك
لحظة حتى يحاولوا أن يحزّوا رقبتك بسيوفهم ..

كلهم يتظاهر بالشئ ذاته ، وكلهم - فى الحقيقة -
الشئ ذاته ..

ألا تبا لهم !

★ ★ ★

بحياتى أبواب عشرة ..

وحكايا عن جيش البربر ..

★ ★ ★

على أننى - عند منتصف الليل - بدأت أشعر بقلق
غريب ..

كان السكون تاماً إلا من صوت البحر الثائر ،
أتخيل أمواجه السوداء العملاقة كجبال ، فأرتجف هلعاً
وأقشعر ..

إن خوفى ضعف .. والأدهى أننى كنت سأغدو أكثر
راحة لو كان الرجل بجانبى ، لكنى ضغطت على
أعصابى ، وواصلت القراءة ..
وفى الواحدة صباحاً سمعت الصوت من وراء الباب
المغلق ..

★ ★ ★

كان هناك من يتحرك فى الحجرة الأولى .. سمعته
وقد انتهى صخب (فاجنر) .. الحجرة التى لا أملك
مفتاحها ..

دنوت من الباب ، وأصخت السمع ، ثم ألصقت
أذنى .. وكان ما سمعته هو صوت إنسان يلهث ..

يلهث فى تعب .. يلهث فى جشع للهواء .. يلهث كما
يلهث الغرقى !

دنوت أكثر وطرقت الباب بِسَلَامِيَّة سبابتى ، وفى
صوت كالهمس تساءلت :

- « من هنا ؟ »

لا ردّ ..

فكرت فى أن أرفع طبقة صوتى أكثر ، ثم عدلت عن
هذا .. لا أريد ألا يجىء الردّ .. سيثير هذا رعبى ،
والأفزع أن يجىء الردّ !

كان صوت شىء خشبى يرتطم بالداخل .. أدركت
دون عسر أنه مصراع النافذة الخشبية إذ تحرّكه
الرياح ..

أيًّا من كان بالداخل ، فقد دخل من النافذة ،
والنافذة منخفضة فى مستوى قامة الإنسان ، وتحتها
تربة صغيرة من الرمال ..

وأصخت السمع أكثر فأكثر ..

كادت أذناى تمتزجان بالخشب ، وأنا أحاول التركيز ..
لا جدال فى أن هذا صوت لهاث ..

★ ★ ★

تماكنت أعصابى، وأشعلت لفافة تبغ بيد مرتجفة ..
لا يجب أن تضعفى يا (نادية) لا يجب .. أنت لست
فتاة واهنة هستيرية ..

اتجهت إلى الحقيبة فى غرفتنا ، فانتقيت سكيناً
هائلة الحجم ، وخرجت لأرفع صوت الموسيقى إلى
أعلى درجة ممكنة ..

الآن أغادر الشاليه .. يجب ألا أبقى فيه لحظة
أخرى ..

لماذا لا أبقى فى غرفتى ؟ لأنها لا يمكن غلقها ..
فهى لا تغلق إلا بمفتاح ليس معى .. وليس لبابها
مزلاج من أى نوع ..

لماذا لا أبقى فى الشاليه ؟ لأن الشخص -
أو الشيء - الموجود فى الغرفة يملك مفتاح الغرفة !
كيف عرفت ؟ لأننى سمعت صوت المفتاح يدور فى
الكالون من الداخل !

وضعت على كتفى معطفاً ، وانتعلت حذاءى ، وبحذر
فتحت باب الشاليه ، شاهرة السكين فى يدى ..

هذه هى فائدة الرجال الوحيدة .. أن يتقدموا الأنثى
فى مواقف كهذه ، كى يتلقوا الطعنة الأولى ، ويتركوا
للأنثى فرصة الفرار ..

أخيراً وقفت بالخارج فى الظلام ..
الريح لا تكف عن العواء .. وتمضغ معطفى كما
يقول (نزار قبّاني) ، والبحر من بعيد يشبه وادياً من
الجبال السوداء الشامخة التى لم يرها بشر قبلى ..
درت ببطء حول نفسى ، فقط لأؤكد من أن أحداً
لم يتبعنى ، وهنا حدث للشئ الذى يحدث دائماً
للأبواب ذات كالون (اللاتش) فى الأجواء العاصفة ..
اتغلق باب الشمالى وتركنى بالخارج !

★ ★ ★

والباب الموصد فى قلبى ..
يتحدى فرسان الغازى ..

★ ★ ★

وقفت يضع ثوان عاجزة عن اتخاذ قرار .. إن
التعقل لا جدوى منه .. الهلع هو الحل الوحيد إذن ..
كنت أرتجف كورقة ، لكننى أقنعت نفسى بأن البرد
هو السبب ، وببطء — شاهرة السكين — رحت أدور
حول المكان ..

لم يكن الظلام دامساً ، فثمة مصباح صغير واه عند
مدخل الشمالى ، وعلى ضوءه استطعت أن أرى النافذة

المفتوحة التي راح شيشها يهتز مع التريح في إصرار
غريب ..

دنوت أكثر ، وقلت لنفسي :
- « لو كان المتسلل كلباً أو قطاً ، لأمكنني أن
أطمئن .. سأثب إلى الغرفة وأفتحها من الداخل ..
وهكذا تنتهي المشكلة ... »

لكن ما رأيته على الرمال لم يكن مريحاً ..
في البدء كانت آثار جرّ كأنما جسد ثقيل يزحف
أو يجرّ فوق الرمال المبتلة .. ثم تتحول الآثار إلى
قدمين حافيتين غاصتا في الرمال غوصاً ، وأخيراً
تتوقف الآثار أسفل النافذة ..
هل أدخل ؟

★ ★ ★

لا بد أنني وقفت في البرد والعاصفة أكثر من نصف
ساعة ..

لكنني كنت أرّجف لسبب آخر ..
الغريق بوجهه المنتفخ ، ولسانه البارز .. كنت
أراه يزحف في بطن ، خارجاً من البحر ، يجرّ جسده
بصعوبة لكنه بإصرار ... عازماً على أن يقضى ليلته

تحت سقفى ، لا يفصلنى عنه سوى باب يملك هو وحده مفتاحه ! كنت أراه رأى العين الآن ..

فى النهاية - وبعد وقت طويل - لمت نفسى على جبنى ، واتجهت إلى النافذة ، وقد قررت أن أثب إلى الداخل ، وليكن ما يكون .. أمامى حلان : إما أن أبقى حيث أنا للأبد وأتجمد ، وإما أن أجرب حظى بالداخل ..

استجمعت قواى ، ووثبت إلى الداخل ، حيث الظلام الدامس ..

مرت لحظة لم أدر ما هى ، ثم وجدت يدًا مبتلة قاسية تمسك بمعصمى الذى يحمل السكين .. بإصرار وغلظة ..

هنا صرخت .. صرخت .. صرخت ..

★ ★ ★

وحين استعدت وعيى كنت جالسة فى غرفتنا أرتجف .. وكان (هشام) واقفًا أمامى يجفف شعره المبتل بمنشفة ..

قال لى دون أن أفهم تمامًا ما يقول :

- « حمقاء أنت حقاً ! كدت تفتكين بى بهذا
السكين .. إن للخلاف حدوداً ! »

- « أنت .. أنت .. كيف جئت ؟ »

هز رأسه فى لا مبالاة :

- « لم أذهب قط .. لم أجد مكاناً أمضى فيه ليلتى ،
فدريت حول الشاليه وفتحت نافذة الغرفة المغلقة ،
ودخلتها .. منعنى كبرىائى من أن أعود كى
أستسمحك للبيات ! »

- « و .. وآثار الأقدام .. والبلل ؟ »

- « لقد حاولت أن أجرب السباحة ليلاً .. لكنى
وجدت الأمر أكبر منى .. توغلت فى الماء حتى
خصرى ، ثم عدلت عن ذلك ، وعدت إلى الشاليه وقد
انقطعت أنفاسى .. »

- « و .. والمفتاح ؟ »

- « وجدت نسخة منه داخل الغرفة ، وأولجتها فى
الكالون لأتأكد من أنها صالحة له .. وكنت على وشك
الخروج إليك لولا أن وجدتك تشبين لى من النافذة
حاملة سكيناً ! »

ساد الصمت ، إلا من أنفاسنا ، ومن هدير الموج ..

أخيراً سألته :

- « هل جنتت حتى تنزل البحر فى ساعة كهذه ؟ »

- « لا أدرى .. لقد كان النداء أقوى منى ، وشعرت

بأن الأمر سهل جداً حين جداً .. للحظة حسبت أننى

قادر على قهر البحر ذاته .. »

وبخجل ابتسم ، وأضاف :

- « لا أدرى .. لكننى أحسب أن (الحظمة)

نادتنى ! »

قلت له وأنا أنزع معطفى الذى صار بارداً

كالرصاص :

- « إن لى مطلباً واحداً لا مجال لك كى ترفضه .. »

- « وما هو ؟ »

- « أن نعود إلى (القاهرة) غداً !

★ ★ ★

فيما بعد ازدادت علاقتنا سوءاً ، وتم الطلاق بعد

أربعة أشهر ..

إن (هشام) رجل ، ولهذا كان يحمل كل عيوب

الرجال ومنها الغرور ، الذى يدفع رجلاً للسباحة فى

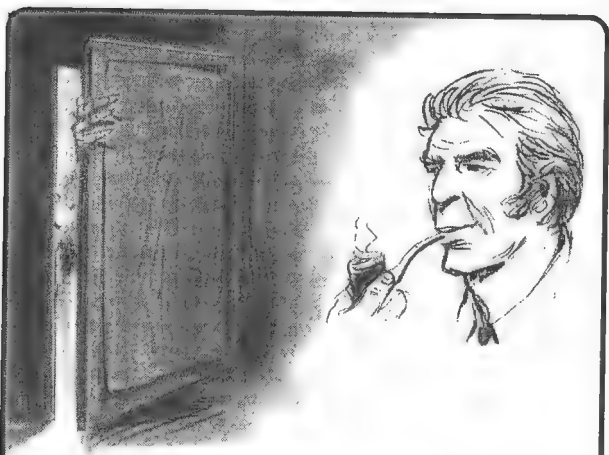
البحر عند منتصف الليل فى الشتاء ..

هل حقاً نادته (الحَظْمَة) ؟ حتى اللحظة الأخيرة
كان مصرّاً على هذا ، أما أنا فكنت مصرّة على أنه
مجنون ..

لكن خلف الأبواب المغلقة قد يرى المرء ويسمع
أى شيء ..

ربما - لهذا - أستطيع أن أفهمه إلى حدّ ما !





الباب الثالث

« جريمة شبه كاملة »

يفتحه : « محمود عوني »

« كان يلهث بحق ، مرهقًا بحق .. لكن جسده
لم يكن هو الذى يؤدى كل هذا العمل الشاق ..
كان عقله هو الذى يعمل ويأمر .. »

انتهت قصة (نادية) ، فابتسمت مدام (ناهد)
بوجهها المرهق المتعب المجعد ، والذي أظهر الماء
حقيقته ، وقالت :

- « حقًا كانت تجربة رهيبة يا (نافي) .. ومن
الحظ الحسن أنك لم تجنّى ذعرًا .. »

ارتجفت يدا الشاعرة ، وهى تفتح حقيبتها بحثًا عن
مرآة وقالت :

- « أنا لا أجنّ ذعرًا لأننى ثابتة الجنان ..
الآخرون فقط يفعلون ! »

نظرت فى ساعتى .. كان الفجر دانيًا ، ومعه يوجد
احتمال لا بأس به فى انتهاء معاناتنا .. أشرت إلى
الأستاذ (محمود عونى) ، وقلت :

- « أعتقد أن الوقت قد حان لسماع قصتك
يا سيدى .. »

ابتسم بوقار ، وداعب سالفه الأشعث غريب الشكل
مفكرًا ، ثم قال :

- « قصة عن باب مغلق ؟ كنت طيلة الوقت أفكر
فى واحدة لكنى لم أجد .. لكنى أعرف قصة حدثت
لشخص أعرفه .. هل هذا مسموح به ؟ »
- « طالما كانت شائقة .. »
- « أعتقد هذا .. والآن اسمعوا لما أقول .. »

★ ★ ★

قال الأستاذ (محمود عونى) :
- « عرفت (إبراهيم الغنم) من فترة طويلة ..
ربما منذ عام 1936 .. كنت وقتها فى العشرينات من
عمرى ؛ شاباً مجنوناً بالصحافة ، وكان هو من
أعظم مديرى التحرير الذين عرفتهم الصحافة
المصرية .. »

ارتقى الرجل بفته إلى درجة دائية من الكمال ،
وجعل من الصحف التى عمل بها معرضاً مبهرًا للخبر
حين يتزاوج مع الصورة والإطار الأنيق ، وأعتقد
أننى لو لم أعرفه لكنت بالتأكيد فى موضع آخر من
عالم الصحافة ..

★ ★ ★

فى الآن ذاته عرفت (صبحى محجوب) ، وهو من
جيل (فاروق) ، لكنه يختلف عنه اختلافاً بالغاً .. لقد
قابلته للمرة الأولى فى أحد المقاهى التى يرتادها
الرعاع ، لماذا ارتدتها أنا ؟ ليس لأننى من الرعاع
إذا خطر لكم هذا ؛ ولكن لأننى صحفى .. وعلى أن
أذهب لكل مكان وأعرف شيئاً عن كل شيء ..

وفى مقهى من تلك المقاهى ، جلست أدون بعض
الملاحظات فى مفكرتى ، وأعدت أوراقى .. حينما
سمعت من المنضدة المجاورة صوتاً ساحراً يقول :

- « هذا هو الصحفى الحق ! فلنحييه ! »

نظرت مدهوشاً ، لأجد رجلاً أصلع بادناً ، تلمع
صلعته بالعرق ، ويتطاير اللعاب من شفثيه الغليظتين ،
ويرتدى بذلة مليئة ببقع الزيت لا بد أن (تحتمس
الثالث) ارتداها فى زفافه .. كان يدخن (الجوزة)
فى نهم ، ولا يكف عن البصق على الأرض كى يمسح
البصقة بحدائه العتيق ..

لما رأى دهشتى واستعدادى للقتال ، قال :

- « لا تتضايق ! أنا صحفى مثلك ، وأعرف

الصحفى حين أراه ؛ لكن دعنى أقل لك إن الحماس
لن يقودك بعيداً .. إن هذه المهنة لا ترحم ! »

هذا صحفى ؟ غريب حقاً ..

بالتأكيد حين دخلت عالم الصحافة لم تكن هذه الصورة فى ذهنى .. إن كل شاب يدخل عالم الصحافة لا يرى سوى صورة (التابعى) فى ذهنه ، وفيما بعد صارت صورة (محمد حسنين هيكل) الشبيه بلورد إنجليزى نبيل ، هى الصورة التى يحلم بها الشباب .. أما هذا الشيء الذى يخاطبنى ؟

قال لى :

- « أنا (صبحى محبوب) .. الماشى فى الظلال ،
والذى يثير نفور الجميع .. »

- « تشرفنا .. »

سألنى عن جريدتى ، وعن مجال عملى ، وطلب منى أن أدعوه إلى حجر آخر مع كوب شاي .. هكذا إذن ! يتسول ببساطة ..

سألنى وهو يشفط الشاي فى هيام :

- « هل تعرف الكلب (إبراهيم الغنام) ؟ لا بد أنك

معجب به .. »

تحفرت فى عصبية :

- « أنا لا أسمح لك بـ »

ضحك فى مرارة كاشفاً عن أسنان تساقط أكثرها ،
وما بقى منها لم يعد جميلاً ، وقال :

- « دعك من حماس الشباب الأحمق هذا .. هذا
الرجل هو ببساطة أقدر لصَ عرفته المهنة ، وهو
مصاص دماء يعيش على جهود الآخرين وعرقهم
وربما دمائهم .. »

وفى اللحظات التالية ، حكى لى بالتفصيل ما لم
أعلمه قط عن الرجل ..

لقد بدأ الرجلان بداية واحدة ، لكن ما لم أعلمه
عن (الغنام) هو أنه كان مستعداً لكل شىء وأى
شىء ، وكان يسرق أفكار صديق عمره ببساطة
وينسبها لنفسه ، ويدس له عند كل الجهات بما فيها
البوليس السياسى نفسه ، وهكذا بدأ (الغنام) يصعد
السلم بسرعة ، ومع كل مرة يصعدا كان (صبحى)
يهوى درجة أو درجتين ..

ثم ارتكب (صبحى) خطأ عمره : تزوج ، وهكذا
هبط درجة فى السلم الاجتماعى ، ثم أنجب وهكذا هبط
درجة أخرى .. وهكذا حدث له بالضبط ما توقعه
فيلسوف الانفجار السكاتى (مالتوس) ..

لا يدري (صبحى) متى ولا كيف وصل لهذه
النتيجة .. صديق شبابه مدير تحرير لامع يتهاافت
الشباب لسماع حرف منه ، بينما هو - (صبحى) -
قد صار رائد مقاه ، يُطرد دائماً من أى مكان يتواجد
فيه أكثر من عشر دقائق ..

وجاء العرض من (الغنام) تحت ستار مساعدة
صديق فى مأزق ..

سيعمل (صبحى) معه ، ولن يظهر فى الصورة أبداً ..
فقط سيستمد منه الأفكار الجيدة الجديدة - وما أكثرها
عند (صبحى محجوب) - ويقدمها للناس باعتبارها
من أفكاره هو .. والمقابل ؟ طبعاً بضعة ملاليم
لا تشبع ولا تغنى من جوع ، لكنها على الأقل تبقى
أطفاله أحياء ..

الآن صارت لدى (إبراهيم الغنام) مؤسسة كاملة
من الصحفيين الشباب المتحمسين ، وثلاثة من
المتترجمين الشيوخ ثقيلى الوزن ، وصحفى عجوز هو
(صبحى) ، وكان كل هؤلاء يعملون ليل نهار مقابل
ملاليم أو كلمة مديح بسيطة .. وفى النهاية تخرج
الجريدة أو المجلة فى أبهى صورة ممكنة تحمل

للقارئ نبأ أن (مدير التحرير) هو (إبراهيم الغنام) ؛
ومن النادر أن يلاحظ رجل الشارع اسم مخرج الفيلم
السينمائي أو مدير تحرير الجريدة .. لكن القاعدة تتحطم
مع مخرجين مثل (هتشكوك) أو (يوسف شاهين)
أو (فيليني) ، ومع مدير تحرير مثل (إبراهيم
الغنام) ..

كان (صبحى) يكره الرجل بحق .. يحقد عليه
بحق .. يحتاج إليه بحق .. يعجب به بحق ..
علاقة معقدة جداً ، تحتاج إلى أديب من طراز
(دستوينسكى) كى يعبر عنها بدقة ..

★ ★ ★

أما ما حدث بعد هذا بشهرين ؛ فأمر لم أره ، لكنى
قرأته .. ولا أستطيع الإفصاح عن مصدر قراءتى له
قبل أن أكمل القصة ..

★ ★ ★

كان (صبحى) يغلى حقداً كما قلنا ؛ وكان فى ذهنه
يضع الخطة تلو الخطة للانتقام ؛ حين اتصل به (إبراهيم
الغنام) من (الإسكندرية) يطلب منه أن يوافيه هناك ..
كانت المكالمة فى المقهى بالطبع لأن (الغنام) يعرف

بالضبط أين وكيف يجد فريسته ، وجاء القهوجى
الشاحب. (سنقر) يخبره بأن هناك من يريده على
الهاتف ..

رفع السماعة فى توجس ، فسمع (الغنام) يصيح
فى مرح :

- « هذا أنت أيها العجوز ! لم لا تنس أعباءك
وتجئ إلى (الإسكندرية) بعض الوقت ؟ »

- « ليس معى ما يكفى لنسيان الأعباء كما تعلم .. »

- « لا عليك .. الجيب سداد .. إبنى بحاجة إليك
فى بعض أمور مهمة .. إن رأيك لم يعد الاستغناء
عنه ممكناً .. »

وكانت هذه هى البداية لموقف اعتاده (صبحى)
وعرفه جيداً .. عملية اعتصار الأفكار النهمة من
صديقه القديم المتظاهر بالموءة ..

وهكذا ذهب إلى بيته المتهالك الضيق ، فقال
لامراته التى عصبت رأسها (علامة النكد الأزلى)
إنه سيقضى يوماً أو يومين فى (الإسكندرية) وركل
الطفل الذى ركل أخاه الأصغر ، ثم اتجه إلى الباب
دون أن يضيف كلمة واحدة ..

★ ★ ★

جلس فى القطار يجفف العرق المحتشد على جبينه ..
كان الألم حاداً ضاعطاً عاصراً .. وكان يعرف إلى
حدّ ما ما يعنيه هذا الشعور الممضّ خلف عظمة
القصّ ..

هى ذى سنوات من الفقر والإحباط والغضب
المكبوت ، تجتمع كلها فى شرايينه التاجية لتسدّها ..
ها هو ذا القلب الذى لم يذق لحظة سعادة واحدة ،
يحتجّ فى صمت أولاً ، ثم يصرخ ثانية
ها هو ذا ينذره بالصمت للأبد ..

وعندما تجاوز القطار (دمنهور) ؛ كانت النوبة قد
انتهت ، لكنها أسلمته إلى إعياء شديد ، لم يفق منه
إلا حين شَمّ رائحة محطة (الإسكندرية) المميزة ..
كان (إبراهيم الغنام) يملك شيئاً هو ما بين
(الشاليه) و (الفيلا) فى (العجمى) ، وفى ذلك
الوقت كان (العجمى) شاطئاً شبه مغلق ترتاده
الصفوة ، ويهابه العامة بشدّة .. ولم يكن الوقت وقت
اصطياف ، لذا لم يندهش (صبحى) لكل الفراغ الذى
قابله به الشاطئ المظلم ..

أخيراً وجد الشاليه / الفيلا ، ولم يكن المدخل
مغلقاً ، لذا انسأب إلى الداخل ، وقرع الباب حتى
فتحه (إبراهيم الغنام) ..
ولم يكن هذا الأخير مسروراً جداً ..

★ ★ ★

قال (محمود عونى) :

- « لم يكن (الغنام) بادى السرور بهذه الزيارة ،
لكنه رَحَّبَ بصديقه القديم ، ودعاه إلى الداخل .. قال
شيئاً ما عن أنه كان يتوقع قدوم (صبحى) نهائراً ..
لم يتوقع كل هذا الحماس المبالغ فيه ..
فى النهاية اضطر إلى القبول بالأمر الواقع ، ودعاه
ليجلس ..

كان يرتدى منامة حريرية ، مما يدل على أنه
استعدّ لدخول الفراش ، وكانت هناك منضدة عليها
لفافة ورقية مفتوحة بها كائن أسود عذب الرائحة ،
يسمونه (كباب) .. وكانت هناك سلة أنيقة بها
بعض التفاح طَوَّحَ بواحدة منه إلى (صبحى) ،
ولم يناوله السكين بالطبع ..

جلس فى أريكة مريحة ، وقال :

- « الموضوع - ببساطة - هو مجلة جديدة
يريدون أن يعهدوا لى بأن أكون مديراً لتحريرها ،
والأمر ليس بالسهولة التى يبدو عليها ، لأننى مكلف

بوضع تصوّر لكل شيء .. كل شيء بدءاً بشكل
الغلاف وانتهاءً بمن يكتب ومن لا يكتب .. والمطلوب
ألا يشبه هذا العمل أى عمل سابق .. »
ثم مدّ يده فى جيب منامته ، وأخرج مظروفاً
صغيراً :

- « هاك ! خذ ! »

وطوّح به فى الهواء ، لكن (صبحى) لم يكن
ممن يجيدون لعب التنس ، وارتطم المظروف بكتفه
ليسقط أرضاً ..

قال (الغنام) وهو يعود لاسترخاء جلسته :

- « هذه أتعاب مقدّمة .. وينتظرك مظروف مماثل
بعد الانتهاء من كل شيء .. من المفروغ منه أننا لن
نعود إلى (القاهرة) إلا بعد ما نضع تصوّراً شاملاً
محكماً لكل شيء .. »

وأشار لرأسه بسبابته :

- « نريد بعض (المخمخة) إذن .. »

قضم (صبحى) نصف التفاحة مرة واحدة ..
وراح يلوكها بصعوبة بأسنانه المنهكة ، وتساءل :

- « هل لهذا جئت هاهنا ؟ »

وكان يعرف الإجابة .. بالطبع ليس لهذا فقط ..
لكن (إبراهيم الغنام) قال فى جدية :

- « بالطبع .. لقد فررت من كل أعبائى .. لا أحد
يعرف أننى هنا ، ولسوف تنقلب (القاهرة) رأساً
على عقب بحثاً عني ؛ لكنهم لن يفكروا فى هذا
الشأليه .. إبنى متفرغ للتفكير العميق .. »

لم يكن (الغنام) متزوجاً .. ربما تزوج مرة وطلق ،
ولشدّ ما حسده (صبحى) على هذا .. لهذا يحتفظ
بنضارته وخلوه من الهموم .. صحيح أن المرء
يتزوج ، كى لا يكون وحيداً فى شيخوخته ، لكن
(الغنام) لن يكون وحيداً أبداً .. سيجد دوماً من يهتم
به ، ويقدم له ملعقة كبيرة من شراب السعال حين
يتعالى سعاله ليلاً.. حتى لو ابتاع هذه الخدمات بماله..
قال (صبحى) وهو يلقي ما تبقى من التفاحة فى
فمه :

- « معذرة .. لكنى لا أستطيع التفكير بمئاته
ملئية .. »

- « هذا حقك البشرى .. (التواليت) على يسارك
عند نهاية السلم .. »

ونفض (صبحى) متثاقلاً .. فوجد درجاً خشبياً
ينزل لأسفل إلى ما يشبه القبو ..

كان الحمام كما وصفه الرجل .. وكالعادة كان
عطراً فاخراً به مرآة هائلة الحجم ، تراصت على رفها
زجاجات من العطور و (اللوسيون) تفوق ما فى أى
متجر كبير ..

غسل (صبحى) وجهه المبتل بالعرق من وعشاء
السفر ، ورش عطراً ما من زجاجة تحت إبطيه ..
بدأ ينتعش ، وأضافت المئات الفارغة انتعاشاً إلى
انتعاشه ، فغادر الحمام ، عازماً على العودة إلى
جلاده ..

هنا رأى الغرفة المفتوحة أمام الحمام ..

★ ★ ★

كانت الجدران عارية تماماً إلا من القرميد ، ومن
السقف تدلى مصباح متهاك .. أضاءه فوجد أن
الغرفة أقرب إلى حمام آخر تحت الإنشاء .. بها
صنبور ماء يتدلى من ماسورة عارية ، وبها فتحتا
صرف فى الأرضية ..

كانت هناك شكاير من الأسمنت مكدسة فى الركن ،
وعدة صفوف متراصة من القرميد .. كما كانت هناك
أدوات بناء : رفش وتلك الأداة التى يستخدمها
البنّاعون فى وضع الأسمنت .. وكانت هناك كمية
لا بأس بها من علب تحوى بلاطاً قيشانياً - قبل عصر
السيراميك طبعاً - وكل ما يوحى بأن هذه الغرفة
ستتحول إلى شىء آخر ، ما إن يسمح الوقت بذلك ..
هذه الغرفة بدورها توحى بشىء ما لا يدرك كنهه ..
تأمل المكان فى اهتمام ، ثم غادره بعد ما أطفأ
النور ..

كان الباب موارباً ، لذا تركه كما رآه ، وصعد فى
الدرج إلى حيث كان (إبراهيم الغنام) يفرز محتويات
ملف كبير ..

- « شفيتم ! »

قالها باسمًا فى سخرية ، ثم دعاه إلى الجلوس
بجواره ..

- « أريدك أن تدرس هذه الأوراق .. كن حراً تماماً
فى التعديل أو الحذف .. »

هنا رفع (صبحى) وجهه فى تحدّ ، وقال :

- « ومن قال إننى قبلت ؟ »
 بهت (الغنام) قليلاً ، ثم هتف :
 - « لقد تقاضيت أتعابك ! »
 - « لم أمسَ المظروف .. أعتقد أنه فى موضعه
 على الأرض لو لم أكن مخطئاً .. وعلى كل حال أنت
 لم تناولنى شيئاً فى يدى ، بل ألقيته فى وجهى إلقاءً »
 وضع (الغنام) الملفَ جانباً ، وقال بتؤدة :
 - « (صبحى) .. أنت لا تملك الرفض .. أنا بحاجة
 إليك ، وليس من المعتاد أن أكرّر هذا مرتين .. »
 - « وأنا مصرّ على الرفض .. »
 - « والأسباب ؟ »
 ابتسم (صبحى) فى مرارة ، ونظر إلى حيث كان
 المظروف :
 - « كم فى هذا المظروف ؟ »
 - « خمسون جنيهاً .. لماذا تسأل ؟ »
 - « لأننى سئمت الاستسلام .. لقد استسلمت لك
 مراراً ، وصنعت نجاحك ، لكن المكافأة فى كل مرة
 كانت بضعة ملايم .. حتى الكلاب قد تعضَ صاحبها
 إذا ما بالغ فى إساءة معاملتها .. »

- « خمسون جنيهاً؟! يا لك من جشع ! إن طيبة
قلبي مع صديق قديم تدفعني إلى إذلال نفسي دون
مبرر .. أنت لم تر هذا المبلغ ، وفي الغالب لن تراه
أبدًا .. هل تعرف السبب ؟ »

- « إنني أتحرق شوقاً لمعرفته .. »

اشتعل الغضب ناراً في عيني (الغنام) وصاح :

- « لأنك أحمق ! لأنك بلا مواهب ولا قدرات .. إن
الحياة تحسن اختيار من تهبه ثمراتها .. فقط
الموهوب والذكي والبارع ينالون كل شيء ، بينما
أمثالك ينحدرون .. ينحدرون .. ولا يكفون عن
الشكوى من الظلم الفادح الذي يلقونه .. لقد استحقوا
ما حدث لهم ، ولا ظلم هناك .. دعهم ينعموا بلذة
الشعور بالاضطهاد .. دعهم يمارسوا (البارائويا)
على أوسع نطاق .. إنهم يستحقون كل شيء لأنهم
حشرات .. وأنت مجرد حشرة لا يجب أن نتملقها أكثر
من اللازم كي لا تلدغنا ! »

وأخذ شهيقاً عميقاً كي يواصل الهجوم :

- « (صباحي محبوب) .. إنني أخفض عرضي إلى
ثلاثين جنيهاً .. وأعرف أنك ستقبلها مهما تعاليت ..

لماذا ؟ لأنك بحاجة إليها .. لأن أطفالك جوع ، ولأن
أباهم جاهل معدوم الموهبة .. ولأن »
لم يكمل العبارة التالية ، لأن (صبحى) غرس
السكين فى صدره حتى المقبض ..

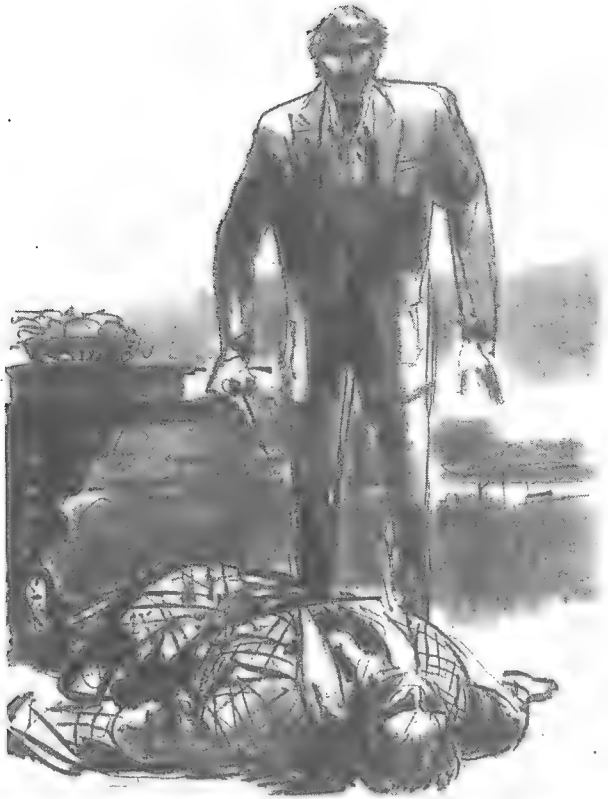
★ ★ ★

الآن صار المشهد درامياً بحق ..
يقف (صبحى) ذاهلاً يرمق الرجل الأنيق الممدد
على الأرض ، ينزف دمًا من صدره بلا انقطاع ..
لم يحتج إلى أن ينحنى ليتحسس صدر (إبراهيم)
أو نبض معصمه .. فالموت شئ يمكن معرفته
بالسليقة ..

ومن الغريب أنه لم يفقد ترتيب ذهنه .. لقد أثار
الرجل أعصابه إلى حد غير مسبوق ، وصارحه بكل
ما كان كلاهما يعرفه .. لكنه يداريه خلف قناع
الحضارة والتهديب ..

الآن صار الموقف تجريدًا تمامًا .. مشادة انتهت
بضربة سكين كما يحدث فى مقهى (شيحة) ، لا فى
بيت مدير تحرير كبير ..

يمكنه الفرار .. لا أحد يعرف أنه هنا ..



يقف «صبحى» ذاهلاً يرمق الرجل الأنيق الممدد على
الأرض ، ينزف دمًا من صدره بلا انقطاع ..

لكنه كان ذكياً بما يكفى .. لا بد من بصمة هنا
أو هناك .. لقد ترك دون تحرر بصماته فى كل مكان ،
ويحتاج إلى عشر سنوات كى ينظفها جميعاً ، هذا
طبعاً بعد أن يحصل على دكتوراة فى العلوم الجنائية ..
فى قرارة نفسه لم يكن نادماً إلى هذا الحد .. لم
يكن ندمه أكثر من ندمه بعد قتل فأر تسلل إلى
المطبخ .. ربما الاشمزاز هو الشعور الطاغى الآن ..
وهكذا تركز فكره فى الوسيلة الوحيدة للخروج من
المأزق : إدفن أخطاءك .. الوسيلة التى توصل إليها
(قابيل) وهو يتأمل جثة أخيه (هابيل) لكن لم يكن
هناك غراب هاهنا ..

★ ★ ★

الغرفة التى أمام الحمام ..

إنها توحى بشيء ما ..

★ ★ ★

ولم يكن (صبحى) رياضياً قط ..

بالأحرى كان يملك جسد شيخ وقلب مومياء

وعضلات طفل رضيع .. وكان داء السكرى قد فتك به

بشدة ، مع تدخين (الجوزة) المستمر ..

لهذا لم يكن جرّ جثة (الغنام) عملاً شديداً الإمتاع ،
لم يكن نزهة مريحة .. كان العرق ينساب على
صلعته وتحت إبطيه ، واستطاع أن يشم رائحة العطر
الذى سرقة فى الحمام ، تفعم الجو .. إنها حقاً رائحة
(إبراهيم الغنام) المميزة ، حتى كأن الرجل يملأ
المكان ..

هو ذا يهبط فى الدرج الخشبى ..
يجرّ الجسد جرّاً إلى الغرفة التى تنتظر استكمال
بنائها ..

★ ★ ★

لا أحد يعرف أن (الغنام) هنا ..
لا أحد يجيء لهذا الشاليه ..
من المعروف أن (الغنام) كثير التنقل ، كثير
الاختفاء ، كثير السفر إلى الخارج ..
لا توجد جريمة دون جثة .. لا بد من جثة قبل
البحث عن قاتل ..

هذه هى المعطيات ، وعليه أن يستفيد منها ..

★ ★ ★

فى كثير من العسر جرّ الجثة إلى الداخل .. تعلّق
الباب فى خفّ إحدى القدمين ، فحرّره لكن الباب
اتعلّق وراءهما ..

لا بأس .. إنه بلا قفل أصلاً ..
أضاء النور الواهن ، واستعد كى
هنا أطبقت عليه يد الجثة !

هلع ونظر مذعوراً إلى ساقه ، ليجد (الغنام) وقد
فتح عينيه فى شراسة يعتصر ساقه بيد من حديد ،
ويحاول أن يمسك بالساق الأخرى ..
كان المشهد مريعاً أشبه بالخضات التقليدية فى
أفلام الرعب ، حين يعود الشرير الميت للحياة فجأة
قرب نهاية الفيلم .. فقط ليتضح أنه لا يموت بهذه
البساطة ..

- « اتركها يا أحمق ! »
وبصعوبة مدّ يده إلى حيث كان الرفش .. تمكن
من القبض عليه .. رفعه عالياً ثم هوى به مرتين ..

★ ★ ★

من جديد عاد الهدوء واستتب الأمن ..
عاد فؤاده إلى معدل خفقانه الطبيعى ، فجلس جوار
الجثة يلهث :

أخيراً استردّ قواه ، فنهض ..
كانت هناك قصعة فارغة ملأها بالأسمنت من جوال
هناك ، وجرها جرّاً إلى ما تحت صنبور الماء ..
الآن يجيء دور العمل الفنى البارع ..
جرّ الجثة إلى الجدار القرميدى وأراحها هناك ،
بحيث تحتل أقل مساحة ممكنة .. ثم مزج الأسمنت
بالماء .. لو كان هناك رمل لصنع (مونة) رائعة بحق ،
لكن لا وقت للتدقيق فى قواعد علم الخرسانة على
كل حال ..

وضع طبقة من الأسمنت على الأرض تمتد فى خط
بطول الجدار ، ثم بدأ يرصّ قطع القرميد متلاصقة
فوقها ..

هذه هى خطته .. لقد صنع جداراً جديداً يبتعد عن
الجدار القديم بنصف متر . وما بين الجدارين وجد
فراغ يصلح قبراً دائماً للجثة ..

لن يجد أحد الجثة إلى يوم الدين .. ربما لو أزالوا
الشالية لوجدوها ؛ لكن أحداً لن يلاحظ أبداً أن طول
الغرفة قد اتكمش نصف متر دون سبب واضح ..
- « كل شىء ينكمش فى الشتاء ! »

ورأيت له الدعابة ، فطفق يضحك ، ويواصل
مهمته فى الضوء الخافت المؤذى للعينين ..

ستفتش الشرطة كثيرًا ، وستبحث فى الشاليه ،
لكنهم لن يجدوا ما يدلّ على أن (الغنام) أمضى
ليلتين هنا .. هو سيزيل كل الآثار وسيأكل الكباب
والترفاح ويخفى الأوراق فى حقيبتة ..

الآن يضع صنفًا ثالثًا من القرميد ، ويزيد من كمية
(المونة) .. لحسن الحظ أن الصنبور هنا .. كان
سيحتاج لنقل الماء من الحمام وياله من جهد !

لسوف يوضع اسم (إبراهيم الغنام) فى قوائم من
(خرجوا ولم يعودوا) ، وبعد أشهر عدّة سينسى
الناس من كان ..

بصمات ؟ لن يهتم أحد برفعها ، لأنه لا جثة هنالك..
وحيث لا توجد جثة لا توجد جريمة .. سيبدو الشاليه
فى نهاية عمل (صباحي) كأنما لم يزره أحد منذ عام ..
صف سادس من القرميد .. الجدار يعلو

كان يلهث بحقّ .. مُرهقًا بحقّ .. لكن جسده
لم يكن هو الذى يؤدى كل هذا العمل الشاقّ .. كان
عقله هو الذى يعمل ويأمر ..

★ ★ ★

السادسة صباحاً ..

يا لها من ليلة ليلاء ! .

ونظر لأعلى ليجد أن الجدار قد علا تقريباً .. حتى
لامس السقف .. كانت آخر أربعة صفوف هى
الأصعب ، وقد احتاج إلى الصعود مراراً على خمس
شكائر من الأسمنت كدسها فى شكل سلم .. ربّاه !
لم يحسب قط أن شيكارة الأسمنت لها هذا الثقل
المريع .. لا يمكنك أن تصدّق هذا ما لم تحاول جرّ
واحدة على الأرض ..

كان يدرك أنه سيمرض بشدّة بعد هذا .. سيلتزم
الفراش شهراً أو أكثر .. ربما

★ ★ ★

هنا بدأ الألم ..

لم يكن تدريجياً كما اعتاده ، بل هو ألم مفاجئ
صارم قاهر يتحين الفرصة فى نهم .. وقد اعتاد هذا
الألم وعرف مصدره جيداً ..

وأصابه الذعر وترك ما يقوم به ..

كلا .. لن يموت هنا .. لن يموت بهذه البساطة ..
عليه أن يهدأ قليلاً .. لكن محاولة الهدوء كانت تحتاج

منه إلى جهد يزيد الغناء على قلبه .. ما كان لهذا
القلب أن يتحمل كل هذا الانفعال والجهد العضلى ..
شهق فى جزع .. عليه أن يغادر هذا الحمام
الخائق .. عليه أن ..

مترنحاً هرع إلى الباب الموصد ، فقط ليكتشف
المفاجأة غير السارة على الإطلاق .. الباب بلا مقبض
طبعاً .. لكنه يحوى (الكالون) الداخلى ، وله لسان
قد برز الآن ليدخل فى ثقبه ..

يحتاج إلى مقبض .. يحتاج إلى جسم معدنى مصلع
يدسه فى الثقب ليدير به اللسان .. لكن كيف يجده والألم
يزداد ، والهواء أكثر ندرة من .. من (اليوراتيوم) ..
من ال ؟

دق الباب مرتين أو ثلاثاً ..
تحول الصراخ إلى عواء طويل كعواء ذئب جريح ..
ثم لا شئ ..
ظلام مطبق ..

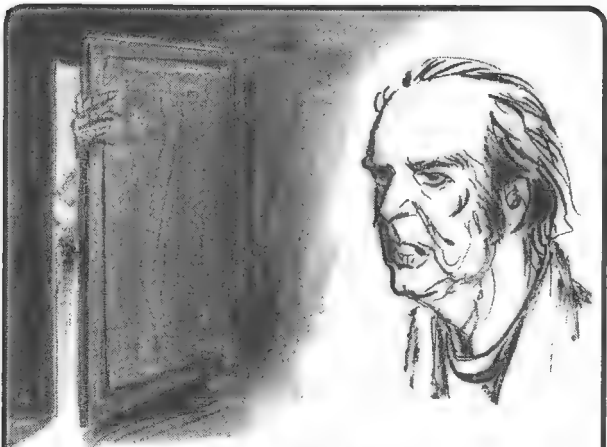
★ ★ ★

بعد ثلاثة أشهر فتح رجال الشرطة الشاليه / الفيلا ،
فوجدوا أشياء غريبة جداً ..

وجدوا جثة - تحولت إلى عظام الآن - خلف جدار
نصف مكتمل .. ووجدوا هيكلًا عظميًا يحاول الزحف
إلى باب بلا مقبض ..

وكان هناك شيئان آخران لهما أهمية خاصة :
الأول هو جهاز تسجيل أداره (إبراهيم الغنام) منذ
جاءه (صبحى) ، وكان يجمع تسجيل كل تفاصيل
المحادثة لتفريغه فيما بعد ، وتنسيق أفكاره ، وهو
ما لم يخطر ببال (صبحى) قط ، ولم ير الجهاز أصلاً ..
الثانى هو مقبض باب - نصف مقبض إن صحَّ
التعبير - وجدوه مختلطاً بأسمنت جافاً فى قصعة ..
وتساءلوا : من الأحق الذى يخلط مقبض باب
بالأسمنت ؟ وما هو الغرض ؟

★ ★ ★



الباب الرابع

« كلاكيت ! »

يفتحه : « حسين أبو النجا »

« ملامح الرجل غريبة حقًا .. عيناه جاحظتان
مفعمتان بالذعر .. شعره منتصب كأشواك قنفذ ؛
وها هو ذا يضع يديه على جانبي رأسه ويصرخ ..
طبعًا صرخة صامقة لم يسمعها أحد .. »

قلت لـ (محمود عوني) بعد ما انتهت قصته :
- « إذن كانت القصة هكذا ! إبنى سمعت تفاصيل
القصة حين حدثت فى زمنها ، لكنى لم أعلق عليها
أهمية كبرى ، ولم أعش فيها كما أعيش الآن .. إذن
كان مقبض الباب فى قصعة الأسمنت من البداية ! »
ابتسم فى وقار ، وقال :

- « طبعاً .. لكن من المبالغة أن يقول إن هذا كان
سينقذ (صبحى) ، فالمكان ناء والمجهود كان عنيماً ..
ثمة عدالة شعرية فيما حدث ، وإن كنت أكذب
لوزعت أننى مسرور بهذه النهاية .. »
قالت مدام (ناهد) وهى تضع بعض الشطائر
أمامنا ، كانت قد جلبتها من المطبخ :

- « لقد تعاطفت مع (صبحى) أكثر من (إبراهيم
الغنام) ، ولعلّى شريرة فى هذا التعاطف .. »

قال المخرج العجوز ، وهو يمدّ يده إلى شطيرة :
- « هذا لأن القصة كلها من وجهة نظر
(صبحى) ، وهذا يجعلك تعيشين تجربته ، وتتبينين

قضيته على الفور مهما كانت خاطئة .. هذا يحدث كثيراً فى السينما حين يجعلك السيناريو تتبين قضية لص أو قاتل ، وهو خطأ أخلاقى ، لكن النهاية تبرره .. وثمة قاعدة قديمة فى (هوليود) تقول : دع المشاهد يعشق الأخطاء ثلاثة أرباع الفيلم ؛ إذا كنت تنوى جعله يملكها فى الربع الأخير .. ولو كانت القصة من وجهة نظر (الغنام) لكان تعاطفنا فى اتجاه مختلف تماماً .. »

ساد الصمت برهة ، ثم قلت بغم ملئ :
- « الباب الأول كان يخفى سرّاً جهنمياً لملحن شهير .. الباب الثانى كان يدارى غريقاً اتضح أنه ليس كذلك .. الباب الثالث أفسد جريمة شبه كاملة .. ترى ماذا ينتظرنا خلف الباب الرابع ؟! »
ونظرت إلى المخرج العجوز (حسين أبو النجا) ،
وقلت :

- « هذا دورك يا سيدى .. »
فى عصبية قال :
- « حان أوان ذلك .. ظننتكم ستتجاهلون قصتى للأبد .. »

- « بل نحن نبقى الحلوى لنهاية الوجبة .. »
قلت لها مداهناً متملقاً .. فلا أرغب فى إثارة غضبه
فى ليلة كهذه ..

★ ★ ★

قال المخرج الكبير (حسين أبو النجا) :
- « كنت فى ذلك الحين متعاقداً مع المنتج الكبير
(....) لتصوير آخر أفلامى (فاجعة فوق السطح) ؛
مع النجمة الشهيرة (حسناء) والأستاذ (عمر عزت) ..
من المعروف عنى أننى من المخرجين سريعى
الإيجاز ، وأن فترة ثلاثة أسابيع كافية جداً لتصوير
أطول فيلم لى ، كما أننى أتحرك فى حدود الميزانية
المقررة لا أتجاوزها .. »

« يتهمنى النقاد بضيق الأفق والسطحية .. لكننى -
ببساطة - رجل فهم الجمهور ، وعرف ما يتوقعون
منه ، ويمكننى إيجاز أى فيلم بخاطة سرية أعرفها
وحدى .. بعض الجريمة .. بعض الحب .. بطله
حسناء .. رقصة شرقية .. عصابة ما .. النهاية
السعيدة والزواج .. من يتزوج من ؟ البطل والبطله
طبعاً مهما تباينت شخصياتهما ..

حقاً لن يفوز فيلم من أفلامى فى مهرجان (برلين) ،
ولن يظل فى دور العرض عاماً كاملاً ، لكنه يحقق
هامش ربح لا بأس به للمنتج ، والسينما صناعة قبل
أن تكون فناً .. إتنى أضمن سرعة دوران رأس المال ،
وهكذا يمكننا صنع فيلم ثان فثالث ، كلها تكفل الحياة
الرجدة لى ولأطفالى، وللمنتج والممثل .. والمونتير ..
ولم يترك مشاهد دار السينما شاعراً أنه قد خدع ..
لقد حصل على كل شىء .. و بـ (الكيلو) ..
من يشكو إذن سوى النقاد المعقدين منكوشى
الشعر كثيرى التدخين ؟

★ ★ ★

ـ « أكشن ! »

قلتها بلهجتى الآمرة الممطوطة التى أعشقها ،
وهكذا هرع صبى الـ (كلايت) المصاب بالأنيميا يتلو
أمام العدسة رقم اللقطة ، وعدد مرات تصويرها ، ثم
نزع اللوحة واتسحب ..
هدير الكاميرا العالى .. الأضواء الباهرة ..
الديكور .. الممثلون ..

رباه ! من يزعم بعد هذا أننا نقدم هراء !؟

إن كل هذا يكلف مالا .. لكنه رائع ولا يُصدق ..
ودنا البطل من البطولة ليلقى العبارات التي حفظها
من (السيناريو) ..

طبعاً لا داعي للقول إنه حفظ هذه العبارات من ربع
ساعة لا أكثر ، وراها لأول مرة في حياته من ثلث
ساعة .. لا وقت لدى ولا لديه لجلسات الاستماع
ومناقشة السيناريو وكل هذا الهراء .. لسنا في
(ستوديو الممثل) الشهير في (هوليوود) حيث يكون
على الممثل أن يفكر ويحلم ويتنفس كبطل الفيلم ،
دون أن يكف عن أن يظل هو .. هؤلاء القوم لديهم
الوقت والمال ، أما هنا فأنا بحاجة لبطل يجيد اصطناع
أربعة أنماط من العواطف : الغضب - القلق - الفرحة
- الهيام .. هذا كاف جداً ..

البطلة تعطيه ظهرها وتواجه الكاميرا (هذا هو
الميزانسين المفضل لدى مهما سخر الساخرون) ،
بينما هو يكلمها في هيام :

- « (مرفت) .. أنت الأمل الذي انتظرته طيلة

حياتي .. »

فَنَقُولُ فِي تَعَالٍ :

- « لَا تَقُلْ لِي هَذَا .. قُلْ لِي (نَادِيَةٌ) .. »

فَيَبْدُو الْأَلَمَ عَلَى وَجْهِهِ .. أَلَمْ سَيْنَمَائِي مِنَ الَّذِي
يَحْرُكُ الْمَلَامِحَ كُلَّهَا ..

ثُمَّ يَقُولُ :

- « (نَادِيَةٌ) وَأَنَا مُجَرَّدُ صَدِيقَيْنِ .. لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا

مَا إلخ .. »

هنا لاحظت أن الباب في خلفية الكادر يتحرك ..
المشكلة هي أنه واضح للعيان أكثر من اللازم ، وهما
وحيدان كما هو مفترض .. في العادة أنا لا أدقق
كثيراً .. في هذه الأمور ، وفي أحد الأفلام دخلت
البطلة غرفتها لتبكي أمام مرآتها ، وحين عرض
الفيلم ظهرت صورتي واضحة تماماً في المرآة ،
ورآها النقاد جميعاً ! (*)

ماذا حدث ؟ هل انطبقت السماء على الأرض ؟ هل
توقفت الحياة ؟ سرعان ما تمرّ أشياء كهذه ،

(*) حقيقة .. لقد حدث هذا بالفعل مع مخرج آخر لن يذكر

اسمه طبعاً !

وينساها الناس .. لا أحد يعلق المشاتق لأسباب واهية
مثل هذه .. دعك من أنها أشياء تؤدي رواج الفيلم ،
ولرب من يدخل السينما فقط ليرى صورتى فى
مرآة البطلة ، ويضحك !

- « ستووب ! »

دوت صيحتى الغاضبة .. فهذه المرة لم يكن من
السهل أن أتجاوز عن هذا .. وما أحفقتى هو أننى
لا أصور اللقطة مرتين إلا فيما ندر ..

وصحت فى عمال الاستديو المذعورين :

- « من الذى يحرك هذا الباب ؟ »

- « لا أحد يا سيدي .. لا أحد .. »

وهرع أحد فنيى الكهرباء نحو الباب وفتحه .. لم
يكن وراءه شيء سوى ستار مفرد من الكتان .. إنه
ديكور مسطح ذو بعدين ككل ديكورات السينما ، ومن
غير الوارد أن يتوارى أحد وراءه ..

- « إذن تأكدوا من غلقه كى لا يفتح .. »

ولم يكن الباب مزوداً بقفل أو مزلاج ، لذا تفتق
ذهن أحدهم عن جلب قطعة قرميد ووضعها تحت

الباب ، حيث تظل بعيدة عن مجال العدسة ، وتمنع الباب من الاهتزاز ..

كان البطل قد انتهى من تدخين لفافة تبغ ، والبطلة قد وضعت مساحيقها وأعادت لصق أهدابها الصناعية للمرة الألف هذا اليوم ..

- « صمًا ! سنبدأ ! »

ومن جديد جلست فى مقعدى ، وأطلقت صيحة البدء .. فالكلاييت ، ثم راحت آلة التصوير تهدر ، و ...

- « (مرفت) .. أنت الأمل الذى انتظرتَه طيلة حياتى .. »

- « لا تقل لى هذا .. قل لـ (نادية) .. »

- « (نادية) وأنا مجرد »

هذه المرة تحرك الباب بعنف أكثر ، وتعالى الصرير مع صوت قطعة القرميد إذ تحتك بالأرضية .. وتبادلنا النظرات مشدوهين ..

★ ★ ★



هذه المرة تحرك الباب بعنف أكثر ، وتعالى الصرير مع
صوت قطعة القرميد إذ تحتك بالأرضية ..

قال المخرج العبقري (أبو النجا) :

- « لكم أن تتصوروا غضبي وضيقى من هذا
السخف .. نهضت بنفسى إلى الباب وتفحصته .. كان
ثقيلاً إلى حد ما ، وقد ساعد قالب القرميد فى جعل
عملية فتحه جهداً إيجابياً ، لا يمكن أن يتم بفعل
الهواء .. »

هنا قاطعته سائلاً :

- « لحظة .. تقول إن وراء الباب ستار قماشى ..
فماذا وراء الستار ؟ »
هز رأسه ، وقال :

- « لا شىء .. مجرد فرجة تقود إلى جدار ..
وكان ما خطر لى هو أن أحدهم يتسلل إلى ما وراء
الستار ليدفع الباب من خلاله .. »
- « من هو ؟ »

ابتسم فى تهكم ، وقال :

- « كثيرون .. كل الناس تملك حقداً معيناً على
العاملين فى مهنة السينما ، ونتمنى إفساد عملهم ..

قد يصرخ أحدهم اتبهاراً حين يرى نجمة سينمائية
حسناً ، لكنه فى قرارة نفسه يمتتها ويتمنى لها
الفشل .. وكل سينمائى حاول أن يصور فيلماً فى
شوارع (القاهرة) ؛ يعرف جيداً كيف يحاول الناس
جاهدين أن يفسدوا ما يقوم به دونما سبب واضح .. «
- « وهل وجدت رجلك الحاقد هذا ؟ »

- « لا .. طبعاً .. »

★ ★ ★

قمنا بتفتيش الكواليس جيداً ؛ فلم نر إلا قطة
وأطفالها الرضع ، وقد قام العمال بطردها بالمكنسة
بلا رحمة ..

ثم إننا أحكمنا غلق الباب بمسمار محوى ثبتناه
من الخلف ؛ وبدأنا تصوير المشهد المقيت .. لثالث
مرة ..

- « (مرفت) .. أنت الأمل الذى انتظرتة طيلة
حياتى .. »

- « لا تقل لى هذا .. قل لـ (نادية) .. »

- « ستووب ! »

لأن الباب تحرك من جديد ، وبعنف يتناسب مع
الإحكام الذى قمنا بتثبيتته به ..

ورأيت المصور يضرب كفا بكف ، على حين راح
عمال التصوير يبسملون ويحوقلون ، وقد أدركوا
ما أدركته أنا ..

ما يحدث هنا خارق لقوانين الطبيعة ..

راحت البطلة تصيح فى هستيريا :

- « أوف ! هذه ليست سينما .. هذا ليس عملاً !
لم لا تعلمونهم كيف يصنعون الديكورات قبل أن تبلونا
بهم ؟! »

وكنت معتاداً على هستيريا النجمات هذه ؛ وأجدت
امتصاصها طيلة حياتى .. حقاً لم أكن قط من
المخرجين الطغاة ..

- « أعرف أن هذا يثير الضيق يا (مدام) .. لكن
دعينا نصور هذه اللقطة ، ولسوف أجد حلا فى أثناء
تقطيع الفيلم .. »

نفخت فى ضيق ، وهتفت من أنفها :

- « ماكياج ! »

وللمرة الألف هرعت الماكيبيرة لتضع المساحيق
على أنفها اللامع ..

ومنى دنا مساعدى - وهو شاب ذكى سيصنع
أفلامه الرديئة يوماً ما بالكيفية ذاتها - وهمس :
- « لقد انتزعت قوة ما المسمار المحوى من
مكانه ! »

- « أعرف .. فيما بعد سيكون لدينا وقت كاف
لتطهير المكان بالبخور والأوراد ؛ أما الآن فالوقت
يعنى مالأ .. »

وبصوتى الجمهورى المحبب صحت :
- « أكشأااان ! »

ومن جديد هدرت آلة التصوير ، والتمعت مصابيح
(الآرك) بعد ما وضعنا (شارج) جديد فى الآلة ،
وراح مكبر الصوت الصغير ينحدر من عل ، ليواصل
مهمته ..

- « (مرفت) .. أنت الأمل الذى انتظرتَه طيلة
حياتى .. »

هزّت كتفها فى ملل .. كان مللها ونفاذ صبرها
اللذان بدأت التصوير بهما يرتفعان بأدائها إلى درجة
الإعجاز :

- « لا تقل لى هذا .. قل لـ (نادية) .. »

- « (نادية) وأنا مجرد »

ومن جديد انفتح الباب .. انفتح أكثر فأكثر ..
كاشفاً عن الستار القماشى .. ونظر لى مساعدى فى
قلق ، لكننى أغضت عينى بمعنى (لا مشكلة هناك) ..
دعوا الأمور كما هى ..

وواصل البطل حزنه ، بينما الباب يواصل اهتزازه
فى مؤخرة الكادر :

- « (مرفت) .. لو رفضت حبى سأقتل نفسى .. »
ثم علا أداؤه أكثر .. وصاح :
- « سأقتل نفسى ! »

تمثيل ردىء جداً أو مسطح للغاية .. لكنه يؤدى
الغرض ما دام الفتى بحق وسيماً ، لا تكف مجلة
(النجوم) عن نشر صورته ، وتعلقها كل مراهقة
حمقاء فى غرفتها .. حالمة بأن يقتل نفسه من أجلها
هى ..

واستدار ليجرى خارجاً من الكادر ، على حين
نظرت البطلة نحوه فى شك ، ثم صاحت وقد
ترعزعت ثفتها :

- « (عادل) ! (عادل) ! »

- « ستووب ! رائع ! إطبغ ! »
كذا صحت أنا وقد راق لى الأداء بشدة .. إنه
ردئ .. لكن لن تجد أفضل منه مع هؤلاء الممثلين
وبهذه الميزانية ..
هنا انفجر مصباحان ، وسمعنا صرخة البطلة فى
الظلام ..
وساد الهرج والمرج ..

★ ★ ★

لم تكن الحروق فى وجهها مريعة .. ستشفى
سريعاً وتحفظ بجمالها الذى هو موهبتها الوحيدة ..
وقبل أن تنصرف لدارها ، دعت على بالعمى
والشلل ، ودعت على الاستوديو بالخراب ، واستعملت
ألفاظاً يعاقب عليها القانون ، تعلمتها فى أزقة أجهل
عنها كل شيء .. ثم أضافت :

- « لقد كان يوماً أسود من بدايته .. والآن يسرنى
أن أنسحب من تصوير هذا الفيلم الرديء .. »
لا ... لا ... كله إلا هذا ...

- « والعقد ؟ والشرط الجزائى ؟ »
فى لهجة مسرحية فخيمة صاحت :

- « بله واشرب ميته ! »

وغادرت المكان ، وقد حولت الضمادات وجهها إلى ما يشبه الأخ (بوريس كارلوف) فى أفلام (المومياء) التى أثارت رعبنا فى شبابتنا لفترة لا بأس بها ..
صاح مساعد المخرج وهو يرتجف رعباً :

- « إنه الخراب ! »

- « يا بنى أنت حديث عهد بالمهنة .. لقد مررت بهذا الموقف مائة مرة ، وفى كل منها كانت المياه تعود لمجاريها بمجرد أن يلمح المنتج بزيادة الأجر ..
دع الأمر لى وأعد لى اللقطات التى لا تظهر فيها هذه الحداة .. سنقوم بالبدا فيها غداً .. »

★ ★ ★

فى الصباح يقول خفير الاستوديو أشياء غريبة حقاً ..

الرجل منهار متوتر الأعصاب ، يقسم أن هذا الباب ظل ينفتح وينغلق طيلة الليل .. ثم إن أضواء الاستوديو المطفأة راحت تتوهج كلها مراراً ، ويقسم كذلك أنه سمع أنيناً متصلاً من وراء الباب ، وفى كل مرة كان يفتحه ويتحقق ، ثم يدور حول الستار

القماشى ليتنصت .. لكنه فى كل مرة لا يجد شيئاً ..
- « الصوت يا أستاذ كان قادمًا من كل مكان
ولا مكان .. كأنما الجدران ذاتها تنن ! »
تأملت شاربه الغليظ ووجهه الأسمر الخشن ، وقلت
وأنا أبتعد :

- « يبدو أنك صرت شاعرًا على كبر ! واحسرتاه
على حال الرجال .. »
صاح محاولاً جعلى أسمعاه :
- « أنا لا أخرف .. والله على ما أقول شهيد .. »
لكنى كنت قد ابتعدت ..



ودعائى المونتير (عباس) كى أرى معه (الراشز)
Rushes ، وهو مصطلح يعنى اللقطات التى تم
تصويرها اليوم السابق ، ومن المعروف أنه لا وقت
لدى لمتابعة عملية تقطيع الفيلم .. يقولون : إن هذه
فرصة رائعة للمخرج ليعيد إخراج فيلمه مرتين ،
وأفضل مخرجى العالم هم من بدعوا مهنتهم فى غرفة
(المونتاج) .. مخرجين على غرار (ديفيدلين)
و (صلاح أبو سيف) و (كمال الشيخ) ..

لكن من قال إننى أريد أن أكون أفضل مخرج ؟ فقط
أريد أن أكون أنجح مخرج .. أسرع مخرج .. أغنى
مخرج ..

وفى غرفة (المونتاج) - التى أمقتها - وضعوا
أمامى كوبًا كبيرًا مليئًا بالقهوة .. على حين جلس
(عباس) يدير آلة (الموفيولا) التى تعمل ببذل
صغير ، وتتيح لك رؤية المشهد على شاشة زجاجية
صغيرة ..

كانت تلك اللقطة الكريهة التى يصرّ الباب على أن
ينفتح فيها فى كل مرة .. لدينا أربع نسخ منها ، وإن
كانت أول ثلاث نسخ غير مكتملة ، لأن صوتى كان
يقطع المشهد فى لحظاته الأخيرة ..

فقط النسخة الرابعة كانت كاملة ؛ وحتى مشهد
هروب البطل من الكادر مصممًا على الانتحار ..

وفى هذه المرة انفتح الباب بالكامل ، واستطعت
أن أرى من يقف فى فتحته ، واقفًا خلف البطل
إذ يتكلم ..

- « من هذا ؟ »

كان هذا سؤال المونتير ، فلم أرد .. لم يكن هناك
جواب ..

ملاح الرجل غريبة حقاً .. عيناه جاحظتان مليئتان
بالذعر .. شعره منتصب كأشواك قنفذ ، وها هو ذا
يضع كفيه على جانبي رأسه ويصرخ .. طبعاً صرخة
صامتة لم يسمعها أحد ..

وانتهت اللقطة هنا ، إذ غادر البطل الكادر ،
وصاحت البطلة تناديه .. ثم صحت أنا بدورى أنهنهما
على روعة الأداء ..

وتبادلت النظرات مع المونتير أمام الشاشة الفارغة ..
- « من هذا ؟ »

كرّر سؤاله للمرة الثانية .. فقلت بصوت مبجوح :
- « لا أعرف .. ولم يره أحد فى أثناء التصوير .. »
وابتلعت ريقى ، وأردفت :

- « هذا هو الشيء الذى كان يفتح الباب فى كل
مرة .. لقد عجزت عيوننا عن رؤيته ، لكن خامة
الفيلم الحساس استطاعت ذلك .. »
واقشع جلدى لهول الفكرة ..

لقد نجح الفيلم الخام فى اقتناص دليل ماضى
على على
ربّاه !

★ ★ ★

ماذا يوجد خلف هذا الجدار ؟

كانوا يراجعون التصميمات القديمة .. لا شيء سوى
غرفة فارغة كانوا يستخدمونها قديمًا للمحولات ،
ويخزنون فيها مولد كهرباء .. ثم تم إلغاؤها منذ عدة
أشهر .. وسدّوا بابها بالقرميد ..

كان مدير الاستوديو متشككًا كارهاً ؛ لكنى كنت
مصرًا ، ووعدته بأن أعيد ترميم الفتحة على نفقتى
الخاصة ..

وعند العصر جاء ثلاثة رجال ، قاموا باستعمال
المطارق والأوتاد الحديدية لتهديم ثغرة فى القرميد ..
ثغرة تسمح بدخول رجل واحد لا أكثر ..
وبعد نصف ساعة دخل أصغرهم حجمًا من الفتحة
حاملًا كشافًا ضوئيًا ..

طبعًا سمعناه يصرخ ..
هذا مفروغ منه وكنا نتوقعه ..

★ ★ ★

وتم إجراء تحقيق سريع فعرفنا الكثير ..
لقد حدث هذا فى ذات الليلة التى كان البناءون
عاكفين فيها على سدّ باب حجرة التوليد هذه ..

إهمال معتاد حدث .. لقد عاد العمال إلى بيوتهم ،
وترك فنى الكهرباء بعض الأسلاك العارية الخطرة ..
وفى الليل تسلك متشرد ما لينام داخل الحجرة غير
عالم بأن نهايته تنتظره فى شغف ..
فى الصباح جاء فنى الكهرباء ليجد جثة متخشبـة
على الأرض ..

لقد حاول المتشرد أن ينام فوق قطبين عاريين
لسلكين غليظين ، والنتيجة هى أنه تفحم .. لم يجد
الوقت الكافى ليصرخ ..
وهنا اتخذ الكهربائى قراره ..

لا أحد يعلم ما حدث .. لا أحد يعرف هوية المتشرد..
لن يبحث أحد عنه .. يمكن - بشئ من التدبير - أن
يقلت من تبعات الإهمال الجسيم هذه ..

وبسرعة أخلى الكهربائى الغرفة من كل ما يمت
للكهرباء ، ووارى الجثة المتصلبة فى ركن مظلم
وغطاها بالخرق القماشية ، ثم خرج ليقف جوار
الفتحة بانتظار عمال البناء حين يجيئون ..

وخلال نصف ساعة ارتفع القرميد ، ليسد باب الغرفة ،
وتحول المكان إلى قبر دائم للغريب ، الذى لم يرتكب

خطأ سوى محاولة النوم تحت أول سقف وجده ..
لم يكن فنى الكهرباء قد أخبر أحداً بسرّه ، لكنه
انهار سريعاً حين استجوبناه ، وحين أحسّ بأن
جريمته لم تمت بعد .. هناك أشياء لا يمكن دفنها
تحت التراب مهما حاولت ..



يمكن بشيء من الخيال أن نقول إن شبح القتل
- مجهول الاسم - أحس بالباب الذى وضعوه أمام
الجدار .. كان باباً وهمياً ، لكنه افترض أنه يقوده
إلى الخارج .. إلى حيث يعرف الناس المأساة غير
الضرورية التى جعلته يفقد حياته ، ولا يحظى بدفن
لائق ..

لقد نجحت خطته .. وإن تكتم الاستوديو كل شيء
حتى لا يُساء إلى سمعته ..

وحينما قمنا بتوسيع الفتحة ، ودخلنا الحجرة
المنسية ، كان ما رأيناه هو كومة من الخرق البالية
فى ركن مظلم ..

أزحنا الخرق .. فوجدنا هيكلًا عظيمًا يرتدى بقايا
ثياب متفحمة ..

إن الجماجم تتشابه بالتأكيد .. والفارق بينها
لا يعرفه سوى طبيب شرعى ..
لكن من شاهدوا فتحتى العينين فى تلك الجمجمة
بالذات ؛ شعروا بأنهما تحملان اتهاماً صامتاً ..
اتهاماً لنا جميعاً ..





الباب الخامس

« كلوستروفوبيا »

تفتحه : « هيام »

« لا تكوني بلهاء يا «هيام» ، يجب أن تخرجي
من هنا أو تجدي خطة ما ، قبل أن يتكفل الظلام
الدامس بشلّ حركتك نهائياً .. »

قالت مدام (ناهد) وهى تتنأب :
- « بالله عليك ! يا لها من طريقة لإمضاء
الأمسية ! لقد اقشعر جلدى من هذه الأفاصيص ،
وإننى لأتساعل عن صاحب هذه الفكرة .. »
قلت فى كبرياء :

- « يا له من سؤال ! إنه أنا طبعًا .. »
ابتسمت وتأرجح رأسها كأنما ثملى دون طلا ؛
والحقيقة هى أن الساعات التى أمضيها هنا جعلتنى
أقل كراهية ومقنًا لهؤلاء القوم .. ليسوا بالسخف
ولا التفاهة ولا الإملال الذى حسبته .. يمكنك أن تحب
أى إنسان - ولو كان إنسان (نياندرثال) - إذا أمضيت
معه وقتًا كافيًا ، وسمحت لوجه البشرى أن يلمس
روحك .. حتى المخرج الأحمق والشاعرة التى تمقت
الجميع .. كل هؤلاء يحملون طاقة إنسانية ما ، وحين
تدنو منهم تدرك أنهم ضحايا كسواهم ..
قالت مدام (ناهد) وهى تنظر لضوء الفجر
المتسرّب على حياء من الخارج :

- « لقد نسيت ما نحن فيه .. تصور هذا !
اتدمجت فى القصص حتى غابت عنى تماماً حقيقة
موقفنا ؛ وما ينتظرنا من علامات الاستفهام .. إن
فكرتك لم تكن رديئة تماماً يا د. (رفعت) .. »
فى هذه اللحظة بدأت (هيام) - ممثلتنا الصاعدة -
تفتح عينيها .. لقد صار شكلها جديراً بهذه الدقيقة ..
دقيقة الاستيقاظ من النوم .. جفنان منتفخان ، وشعر
منكوش ، ونظرة معادية كارهة للنور .. وبين شفيتها
راحت تلوك ذلك الطعام الغامض الذى يلوكه النيام
جميعاً ..

راحت ترتجف قليلاً ، فعقدت ذراعيها على صدرها ،
وقالت إنها تشعر ببرد شديد ..

بعد ثوان .. غمغت كالأطفال (عطشانة) ، فجلب
لها (محمود عونى) بعض الماء فى كوب من دورق ..
تثاءبت وتساءلت عن الساعة ، فأخبرناها .. لطمت
خديها غير مصدقة ، واحتاج الأمر إلى عشر دقائق
كى تعود لصوابها ..

قلت لها بلهجة أمرة :

- « هيا .. قصتك ! »

صاحت فى رعب :

- « ماذا ؟ »

- « قصتك مع الباب المخيف ! »

قال لى الأستاذ (محمود) فى رفق :

- « صبراً يا د. (رفعت) .. المسكينة تصحو من

النوم فى مكان غريب ومع غرباء ، لتجد من يأمرها

بأن تحكى قصة عن باب مخيف ! »

- « إنه الحماس كما تعلم .. »

أخيراً عاد للفتاة وعيها - يا لها من بلهاء -

وهرشت شعرها بطريقة غير رومانسية بالمرّة ، ثم

قالت بعد ما تتأعبت كفرس النهر :

- « لدى قصة .. دعونى أحكها لكم .. »

★ ★ ★

قالت (هيام) :

- « يقولون إن حوادث الطفولة أشبه بالخدوش

التي تترك على سطح لبن من الأسمنت .. سرعان

ما يجف فلا تمحى الخدوش أبداً ..

يقولون إن كل عقدنا ونحن بالغون ، بدأت فى

طفولتنا ..

يقولون .. يقولون ..
وأحسبهم صادقين فى هذا كله ..

★ ★ ★

فى طفولتى قارفت خطأ ما .. حقاً لا أذكر ما هو ..
لكنه كان هيناً بالتأكيد ، وما هو الخطأ غير الهين
الذى يمكن أن تقارفه طفلة فى السابعة من عمرها ؟
كان هذا فى بيت عمى ، وكانت سيدة صارمة
تؤمن بأن الأطفال (لازم يتربوا) ، لهذا اعتصرت
لحم ذراعى فى غلّ بين إبهامها وسبابتها .. وراحت
تضغط وتضغط ، وهى تكشف عن أسنانها ..

ثم دون مناقشة جرتنى جرّاً إلى السطح حيث (عشة
الفراخ) الخالية ، من بعد ما فتكت (الشوطة) بما
فيها من دجاج ..

كان المكان قدراً ، وفضلات الدجاج فى كل مكان ،
لكن الأسوأ هو أنها أحكمت غلق الباب على من
الخارج لأجد نفسى وحيدة فى الظلام (كان الليل قد
جاء) ، دون بصيص من نور يتسلل من السلك
المخصص للتهوية .. وسمعتها — وسط صراخى —
تبتعد زاحفة بخفيها الثقيلين ..

فقط قالت فى لهجة محايدة تمامًا :

- « لازم يتربّوا ! »

وكذا وجدت نفسى أصرخ وأصرخ .. أضرب الجدار
الخشبي بقدمى .. برأسى .. وفى ذهنى تجمّد كل
شء .. حتى (العاوّ) الذى كان يتحين فرصة كهذه
ليخرج ؛ أصابه الهلع فوقف فاردًا كفيه عاجزًا عن
الكلام ..

وبالنسبة للأطفال لا يوجد سوى المطلق .. هم
تركونى هنا ، لذا سأظل حيث أنا للأبد .. لن أرى
النور ثانية ..

وبالنسبة للأطفال - كذلك - لا يوجد إحساس
بالزمن .. لذا يصعب أن أقول كم لبثت .. بالنسبة لى
بدا لى أن هذا امتدّ قرونًا ، وبالنسبة لأبى بدا أننى
لبثت ساعة ..

لقد عاد ليجد أننى سجيّنة فى (عشة فراخ) فوق
السطح فى الظلام ، ولم أدر كيف وجدت نفسى فى
حضنه وهو يعتصرنى بقوة ، ويقول مغضبًا لعمتى :

- « فى (عشة الفراخ) يا (عنايت) ؟! ماذا
فعلته كى تستحق كل هذا فى غيابى ؟! »

ولم أسمع ما قالتة عمتى بالتفصيل ، لكننى ميزت
آخر عبارة قالتها ألا وهى :
- « دول لازم يتربوا ! »

★ ★ ★

حسن .. كانت هذه هى الخبرة العظمى فى طفولتى ،
وكانت بداية مرض (الخوف من الأماكن المغلقة)
الذى لم أشف منه قط ..

فيما بعد قال لى الأطباء : إن مريض (خوف
الأماكن المغلقة) لا يستطيع تذكر مناسبة معينة بدأت
فيها شكواه .. كلهم يقول : لقد ولدت هكذا ..
لكن - فى حالتى هذه - كانت تجربة الطفولة واضحة
وضوحاً مدرسياً يثير الانبهار ..

وفيما بعد عرف الجميع أننى لا أحتمل أن ينغلق باب
على ، وفى الصف كنت أصرخ هلعاً لو خرجت كل
الطالبات وتركننى وحدى .. كما أننى فى الحمام كنت أترك
الباب نصف موارب برغم أن هذا غير لائق ، لكن فكرة
الباب المغلق كانت تتحدى أى حياء ، واعتادت زميلاتى أن
يعابثنى بأن ينتهزن أول فرصة ليغلّقن على أى باب ؛ لكن
ردّ فعلى كان فى الغالب شرساً يثير الهلع فى نفوسهن ..

★ ★ ★

كبرت وبدأت أميل إلى فن التمثيل .. لا أدري لما ،
لكن يبدو أن هذا نوع من العلاج الذاتى .. ولهذا لم
أعد أندersh حين أسمع عن الفرق المسرحية فى
المصحات النفسية .. إن التمثيل علاج لا بأس به ..
اشتركت فى مسابقة للوجوه الجديدة ، وكان لى باع
فى الفرق المسرحية الإقليمية ، ثم أرسلت لى مجلة
(النجوم) خطابًا تدعونى فيه إلى مقابلة شخصية
تتكون من عدة ممثلين وأستاذ مسرح عجوز ..
وكما يحدث فى الأسر المتوسـ ... المتحفظـة ..
ذهبت مع (بابى) وأخى طبعًا .. و ..

★ ★ ★

- هنا تدخلت ، لأننى لم أستطع منع نفسى :
- « تعنين بـ (بابى) أباك طبعًا ؟ »
- « هه ؟ ماذا تريد ؟ »
- « الذى أتقذك من السجن فى (عشة الفراخ)
وأنت طفلة ؟! »
- « د. (رفعت) .. لا أفهم ما ترمى إليه ..
- « لا شىء .. أكملى قصتك .. »

★ ★ ★

قالت (هيام) وهى ترمقتى فى لوم :

- « أجريت المقابلة الشخصية بنجاح ، وأديت مشهداً قصيراً من فيلم لـ (فاتن حمامة) حفظته عن ظهر قلب .. الحق إننى كنت محظوظة ، لأننى نلت قلوبهم وقبولهم من اللحظة الأولى ، وعرفت أننى نجحت .. بعد هذا ترددت مراراً على مكتب المنتج الذى رشحوه لى ؛ وأعطانى (سيناريو) رديئاً لم يرق لى قط ، لكنه أخبرنى - فى أدب - أننى لا أملك بعد الحق فى الرفض ..

وقال : Take it or leave it (خذيه أو اتركه) ،
لكن أحداً لن يقدم لك فرصة أخرى ..

كان الإغراء شديداً .. أن أرى وجهى مجسماً على شاشة السينما العملاقة .. وعلى الملصقات .. إنها اللحظة التى يكفّ فيها المرء عن أن يكون شخصاً عادياً ، ويتحول إلى رمز مطلق كالحق والخير والجمال .. كان على أن أقبل ، وظللت آمل أن أصل إلى درجة من القوة تتيح لى الاختيار .. لكن هذه اللحظة لم تأت قط ..

وجاء اليوم الذى وقفت فيه أمام العدسة ، و (الدوللى)
يلحق حركاتى ، بينما الأضواء الساطعة تكشف كل
تجعيدة وكل خلجة فى وجهى .. الحق إنه شعور
رهيب ، ولا داعى لأن أقول إننى فقدت الوعى فى
المرّة الأولى ..

لكنى - ببطء - بدأت أتخذ صورة النجمة متوسطة
الشهرة ، وكان التعليق الذى يلاحقنى لا يتغير : فتاة
بارعة الحس لكنها بلا موهبة ، وصوتها مشروخ ،
ووجهها له كل القدرات المعبرة التى يمكن أن تجدها
فى وجه الحصان ..



وضمت (هيام) شفتيها ونظرت للسقف كأنما
تتذكر ، فحقق قلبى ، لأنها فى هذه اللحظة بدت
ك (ماجى) تمامًا .. قالت :

- « لا يهم .. لقد صرت شهيرة ، وظهر وجهى
ثلاث مرات على غلاف مجلة (النجوم) ، وصارت
لى شقة فى (جاردن سيتى) تنهمر عليها مكالمات
المعجبين والمعجبات ..

لكن داء (الأماكن المغلقة) لم يتركنى لحظة ..



قالت (هيام) :

- « كان اسم الداء كما وصفه (مراد) معالجي هو (كلوستروفوبيا) .. وهو مكون من مقطعين (كلوسترو فوبيا) يقولون إن معناها (رهاب الغرف المغلقة) .. وقد حفظت الاسم بلا عسر لأننى كتبتة فى كل أوراقى ، وعلى كل جدار من شقتى ..

أنا مصابة بالـ (كلوستروفوبيا) .. قتلها لأمى فضربت بكفها المفتوحة على صدرها ، وصاحت :

- « يا لهوى ! لا تقولى هذا علناً يا مجنونة وإلا لن يتزوجك أحد !

كنت دوماً أحذرك من الخروج للمدرسة دون إفطار!

★ ★ ★

ظهر (عادل) فى حياتى بعد ما عرض فيلمى الثانى ..

تعرفته فى حفل بعيد ميلاد إحدى الصاعدات مثلى .. كان مهذباً له كل الصفات التى يمكن أن تصف بها رجلاً وسيماً ، لكنه - لا أدرى السبب - بدا لى سمجاً

يتظرف نوعًا ، وفى طباعه شىء من طبائع
الذباية ..

كان يلاحقتى دائماً ، وله طريقة معينة يلتقط
بها خيوط أية محادثة تخصنى ، ليتدخل فيها
بالإجابة والتعليق كأنما هو مندوبى الصحفى أو خطيبى
مثلاً(*) ..

كان يهيم بى حبًا ، لكن هذه مشكلته لا مشكلتى ..
لست مطالبة بأن أحب كل من يحبوننى ، وإلا لقضيت
حياتى دون شاغل آخر ..

لكن الفتى صار كابوساً دائماً .. ما من حفل
أو مكان أرتاده إلا وأجده .. وحتى فى أثناء التصوير
فى الاستوديو كنت أجد وجهه السمج يبتسم فى ثقة
مشجعاً لى .. ومن نافلة القول أن أقول إنه كان
صاحب علاقات عديدة فى الوسط الفنى ، ولم يكن
وجوده مستغرباً فى أى مكان .. باختصار : لا مفر
منه ..

(*) على سبيل التحذيق : خطيبى لا تتطق إلا مع كسر الخاء

وتشديد الطاء !

فى النهاىة استسلمت وتركته يحيط إصبعى بخاتمه
الذهبى فى حفل خطبة كان حديث الصحف وقتها ..

★ ★ ★

لم أكن سعيدة على الإطلاق ..
المفترض أن تسعد الخطبة أية فتاة ، لكنى لم أعد
أية فتاة .. لقد صرت رمزاً كما قلت ، ومن حقى
اختيار أى شاب فى أية لحظة يخطر لى هذا ، وعليه
أن يرقص فرحاً وفخراً ..

ما الذى يرغمنى على معرفة هذا المهندس ثقيل
الظل ؟ إنه لا يعرف سوى الإعجاب بنفسه ، ولا يملك
من الأفكار إلا كل ما هو قريب ومطروق وممل ..
وكنى أنا مجرد ديكور أنيق يجمال به نفسه ..
وجاء الأوان الذى صارحته فيه بأننا لا نصلح
لبعضنا ..

كان طفلاً عنيداً اعتاد الاستحواذ على كل شىء ..
لم يطق أن تتخلى عنه دميته الجميلة .. الأطفال
يلقون ألعابهم من الشرفة حين يملونها ، ولم يحدث
قط أن ألقت دمية بطفل من الشرفة ..

وكما توقعت توهج الغضب فى عينيه .. غضب
وحشى ، وهتف :

- « لا يا (هاتم) ! أنا لا يسهل الخلاص منى ..
 لن يكون ذلك إلا بإرادتى واختيارى ! »
 ثم فرد ذراعيه فى دهشة تمثيلية :
 - « ثم ماذا يقول أصدقائى عنى ؟ لقد تركته
 النجمة الكبيرة ، لأنه لا يناسبها ؟ ما هى الصورة
 التى سيتركها انفصالنا لديهم ؟ »
 كنت أرتجف خوفاً ، لكنى قلت فى ثبات :
 - « (عادل) .. أنا أتحدث عن مستقبلى ، وليس
 المستقبل رهناً بنزوات المجاملة ، وقد أغلقت كلماتك
 هذه باب الرجعة لو كان هناك واحد ! »
 ووضعت الخاتم فى كفه دون كلمة ، عندها ابتسم
 بخبث ، وقال :
 - « باب الرجعة ! إن هناك أبواباً مغلقة أخرى ! »



كانت كلماته كنبوءات العرافين الغامضة ، التى
 تتضح سطورها فيما بعد .. ولم أفهم هذا إلا فى وقت
 متأخر جداً ..
 هأنذا أركب سيارتى الجديدة عائدة من الاستوديو
 بعد انتهاء التصوير .. النصيحة التى يقولونها دوماً
 للأئشى سائقة السيارة هى :

- « انظري جيداً تحت المقعد الخلفى قبل أن
تقودى .. نصيحة جيدة لكنى نسيته ..
ها هو ذا من يقول لى : توقفى !
أوقفت السيارة على جانب الطريق ، وأقول فى
ذهشة :

- « (عادل) ! كيف تسالت إلى سيِّء ... ؟ »
وفى اللحظة التالية هوى شىء ثقيل على مؤخرة
عنقى ، وساد الظلام ..

★ ★ ★

الآن أصبحوا لأجد نفسى على أريكة قديمة مهترئة ..
الغبار فى كل مكان ، غرفة ضيقة تماماً .. هذا
ما استطعت أن أراه على ضوء متراقص لشمعة مثبتة
على المسند الخشبى للأريكة ..
أين أنا ؟ ماذا حدث ؟

طبعاً من الواضح أننى مخطوفة .. وخاطفى هو
(عادل) طبعاً ..

يا له من أحمق ! يظن أننى بهذا سألين ؟ لعله
شاهد فيلم (جامع الفراشات) حين قرر البطل المختل
عقلياً أن يحتفظ بحبيبته فى داره مع مجموعة

الفراشات الخاصة به ، والغريب أنها بدأت تميل إليه
فى النهاية .. لكن (عادل) أحقق بالتأكيد ..
ستنقلب الدنيا بحثًا عنى ، ولسوف يكون اسمه
هو أول اسم فى قوائم الشرطة ، لأن قصة انفصالنا
وتهديده على كل لسان ..

ماذا يرمى إليه هذا المدلل ؟
وكان أن وجدت ورقة موضوعة بعناية على
الأريكة ، تجيب باختصار على كل أسئلتى ..
رحت أقرؤها فى ضوء الشمعة وأرتجف :
- « حبيبتى ..

« ما كنت أتصور أن أعاملك (بهزه) الطريقة
يومًا ، لكنك قد أرغمتنى على (هاذا) .. [سأحاول
أن أتجاوز عن أخطاء اللغة ما دمت تعرفون أن
(عادل) خالى العقل وجاهل] ..

« حين تطالعين هذا الخطاب ، سأكون فى طريقى
إلى (بيروت) لأستجم بعض الوقت ، وهو وقت قد
يطول حقًا ..

« هذا البيت يخص قريبًا بعيدًا لى ، وهو مغلق منذ
أعوام طوال ، لكن قليلين يعرفون أن مفتاحه معى ،

وهو بعيد تمامًا عن العمران .. وبلا جيران على الإطلاق ، وآيل للسقوط بشدة ..

« ستجدين الكثير من الطعام والمعلبات ، وصنوبرًا يمدك بالماء لأنى لا أريد لك أن تموتى جوعًا أو ظمًا ..
وماذا عن الموت رعبًا ؟

« هذا وارد بالتأكيد .. فقد عرفت جيدًا خوفك من الأماكن المغلقة ، وأنت الآن فى أكثر الأماكن انغلاقًا فى الأرض .. هذه حجرة ضيقة قمت بإحكام غلق بابها ونافذتها الوحيدة ، والبيت كله عتيق متهاك ، لا يمكن المشى فوق لوح خشب دون أن يتهشم إلى نصفين ، ولا يمكن الوثب فى المكان دون أن يتساقط المصيص من السقف على رأسك ..

« لقد تعمدت التأكد من عدم وجود ثعابين أو فئران كى لا أكون قاسيًا ، لكنى سبأتك تسمتعين بحق برُهاب الأماكن المغلقة كما تسمينه .. وستطول فترة استمتاعك كثيرًا جدًا ، لأن أحدًا لن يبحث عنك هنا .. سيبحثون عنى ليستجوبونى ، لكن كيف يجدوننى فى (بيروت) ؟!

« سأعود يومًا ، وعندها من يدري ؟ ربما يكون

كبرياؤك المرضى قد تهاوى بعض الشيء .. ربما
يمكننا الكلام عن مستقبل مشترك !

خطيبك (عادل) «

★ ★ ★

ما إن قرأت الخطاب ، حتى تلاحقت أنفاسى ،
وشعرت بالشعور المعتاد فى هذه المواقف : الاختناق ..
الحاجة للهواء التى تدنو من الذعر ..

ونظرت فى هلع إلى الشمعة .. إنها الوحيدة ها هنا ..
سيسود الظلام بعد وقت قد يطول أو يقصر ، لكنه آت
لا محالة .. وعندها

طار قلبى وعقلى شعاعاً ، ورحت أبكى وأصرخ ..
أصرخ وأبكى ..

ومن جديد - كما فى طفولتى - رحمت أضرب
الجدران مولولة طالبة الغوث .. أنا لم أفعل شيئاً ..
لم أفعل شيئاً !

★ ★ ★

« دول لازم يتربّوا ! »

★ ★ ★

لبعض الوقت جننت تماماً .. رحت أتوسل إلى
عمتى كي تطلق سراحي .. أناذى أبى .. أتحاشى
فضلات الدجاج على الأرض ، ثم أثوب إلى رشدى ..
فأناذى (عادل) ..

وبعد ساعة رقدت منهكة أرتجف ..
كانت الشمعة طويلة لحسن الحظ ، كأنها من
شموع الزفاف ، وقدرت أن أمامى ساعة أخرى أنعم
فيها بنورها المخيف ..
ساعة .. و ؟

من أشعل هذه الشمعة يا ترى ؟ بالتأكيد (عادل)
أشعلها جوارى ، ثم فرّ من المكان قبل أن أفيق ،
وأوصد الأبواب بعناية .. هل يعنى هذا أن الوقت كان
ضيّقاً أمامه فى أثناء عملية جصارى ؟

حملت الشمعة فى يدى ، وأمرت نفسى بالتماسك ..
لا تكونى بلهاء يا (هيام) .. يجب أن تخرجى من
هنا أو تجدى خطة ما ، قبل أن يتكفل الظلام الدامس
بشلّ حركتك نهائياً ..

كانت الحجرة ضيقة - كما قال - بها نافذة موصدة
بعناية ، وقد ثبت عليها لوحان من الخشب بعدد من

المسامير يفوق الخيال .. لو لم أجد (بنسة) هاهنا
لكان هذا السبيل مستحيلاً ..

يوجد باب .. باب عتيق الطراز لا يبدو بهذا
التماسك ..

لقد أغلقه (عادل) بقطعة خشب رقيقة واهية ..
وكان من الطراز الذى ينفتح للخارج .. يبدو هذا حلاً
لا بأس به ..

ونظرت فى الحجرة حولى بحثاً عن جسم خشبى
أو ثقيل .. كانت هناك فى طرف الغرفة مكتبة متسخة
مغطاة بالغبار ترتفع إلى مترين ، أمامها مقعد خشبى
يبدو ثقيلًا إلى حد ما ..

قمت بتثبيت الشمعة إلى الأرض .. وانتظرت حتى
انتظم وهجها ، وبدأت أتحرك فى رقعة الضوء الخافتة ..
حملت المقعد الخشبى بكثير من جهد ، واتجهت
إلى الباب ، و .. بوم ! دوى الصوت كالانفجار فى
الغرفة الضيقة .. وبدأ الخشب يذعن قليلاً .. ضربة
ثانية ثم ثالثة ..

توالى الضربات ، وأملى يزداد ..

أخيراً بدا الباب مترنحاً بانتظار الضربة الأخيرة
التي تقهر عناده ، وهى ضربة تحتاج إلى اندفاع ..
ربما محاولة بالكتف كما يفعل المخبرون فى السينما
حين يقتحمون وكر عصابة ..

تراجعت للوراء وأخذت شهيقاً عميقاً .. و
ثم لفت نظرى شىء معين ..

★ ★ ★

كان هناك باب وراء المكتبة !

باب ثان بالغرفة حاولت المكتبة أن تداريه لكنها
لم تستطع .. ظل إطاره بارزاً إلى جانبها .. وهذا
- ببساطة - معناه أن هذا هو الباب الحقيقى ،
وإلا فلماذا داراه (عادل) ؟

سؤال جديد : كيف خرج (عادل) من هذه الغرفة ؟
النافذة والباب كلاهما مغلق ومحكم من الداخل ، ولو
خرج من باب تداريه المكتبة ، فكيف عادت إلى
مكانها بعد رحيله ؟

إجابة منطقية : (عادل) فى مكان ما فى هذه
الغرفة ! ربما يتوارى فى مخبأ سرى أو وراء الأريكة
أو لا بد أنه كذب بصدد السفر إلى (بيروت) ..

وهذا يفسر الشمعة المضاءة بجواري .. لا بد أنه كره
الآ. يرى منظري مذعورة .. درت حول الأريكة فى
توجس لأرى ..

ولم أجد الوقت الكافى لأصاب بالذعر للاكتشاف
الرهيب ؛ لأن (عادل) وثب بالفعل من وراء الأريكة ،
صائحًا :

- « مفاجأة ! »

كان يحمل مطرقة فى يده
وهكذا أطلقت صرخة وتراجعت للوراء ، نحو الباب
الذى أوشكت على اقتحامه .. وأزمت أن أحاول الآن ..
لقد جن الفتى .. جن تمامًا .. فى ضوء الشمعة بدا
لى كشيطن رجيـم يريد تهشيم رأسى ..
اندفع نحوى فتراجعت مبتعدة عن الباب ، وفى
اللحظة ذاتها لم يستطع التوقف .. اندفع نحو الباب
كثور هائج ، فلم يتحمل الباب هذه الضربة الأخيرة
وانفتح للخارج ..
وسمعت صرخة رعب هائلة ، ثم اختفى (عادل)
من أمامى ..

ومن حياتى أيضًا ..

★ ★ ★



اندفع نحو الباب كثور هائج ، فلم يتحمل الباب هذه
الضربة الاخيرة وانفتح للخارج ..

كنت واقفة أرتجف أمام الباب المفتوح ، أرمق
الهاوية التى سقط فيها .. لقد كانت شرفة ! شرفة
سقطت منذ زمن .. لكن بابها ظلّ هناك ، وكانت على
ارتفاع ثلاثة طوابق من الطراز القديم .. أى ما يعادل
سنة طوابق من الطراز الحديث !

والهواء قد اصطبغ بلون الغسق المهيّب ..
كانت الشرفة تطلّ على فناء فسيح ملئ بالمهملات ،
وبعض برك الماء الآسن ، ووسط القاذورات وجدت
جثة (عادل) وهو يرمق السماء غير مصدّق
ما انتهت إليه دعايته ..

وارتجفت فى هلع ..
هذا المصير كان بانتظارى لو حاولت اقتحام الباب
المغلق ..

(عادل) كان يتوقع هذا ويتمناه ، وترك لى شركاً
متعمداً هو لوح الخشب الواهى على الباب ، ليغرينى
بالمحاولة ، بالطبع بعد ما أعدّ الباب لينفتح للخارج ..
كان يلاعبنى كقط يتسلّى برؤية محاولات فأر
للتملص ..

★ ★ ★

وحين استطعت أخيراً أن أزيح المكتبة الثقيلة ،
استطعت أن أمدّ يدي إلى مقبض الباب وأفتحه فى
حذر ..

أفتحه متوقعة الأسوأ ..

لا شئ سوى درجات تقودنى إلى أسفل .. لقد
نجوت ، ولقى (عادل) مصيراً لم يتوقعه قط ..
والأقسى هو أننى لن أبلغ الشرطة كى لا أسباب
شوشرة .. المنزل متهاك و (عادل) يملك مفتاحه ..
لقد حدث خطأ جسيم يا سيدى .. لقد نسى أن الشرفة
لا وجود لها .. هذه الأشياء تحدث ..

من يدرى ؟ لربما انتحر بسبب فشل قصة حبه
لممثلة حسناء تدعى (هيام) .. هل تعرفها ؟ إنها
جميلة جداً .. لكنها لا تجيد التمثيل ..
حقاً ما أخطر ما قد ينتظرنا خلف باب مغلق !

★ ★ ★

« دول لازم يتربّوا ! »

★ ★ ★



الباب السادس

« أمنية واحدة »

تفتحه مدام : « ناهد »

« تقرزت من الفكرة ، لكنى تقرزت أكثر من أن
ينفتح الباب ، لأجد هذا الشيء المقيت أمامي ..
ترى لماذا قبلت المبيت ها هنا ؟ »

الآن يمكن القول إننا فى النهار ..

الضوء الأبيض الساطع النقى يتسرب من كل الستائر ، وتلك الدغدغة فى أذهاننا جميعاً تجعل الرؤية مشوشة والخواطر مضطربة .. وقال (محمود عونى) ناظرًا فى ساعته :

- « لقد قضينا الليل بأكمله ها هنا .. تصوروا هذا ! »

لكن أحدًا لم يتصور لأن هذا هو ما حدث فعلاً .. ونهضت متثاقلاً لأفتح نافذة وأنظر إلى الخارج عبر القضبان الحديدية .. سعلت مرتين بسبب الهواء النقى الذى لم أعتده من قبل ، ثم عاودت النظر .. حقًا هو منزل منعزل تمامًا ، ناء عن العمران .. ومهما صرخنا منادين لن يسمعنا أحد ..

قلت دون أن ألتفت :

- « لقد دنا موعد خلاصنا .. حتمًا سيحدث شيء

فى صالحننا .. »

قال المطرب الولهان بصوته المبحوح :

- « حان وقت سماع قصتك يا د. (رفعت) .. »
- « أفضل الانتظار للنهاية .. إن قصتي رهيبة
بحق ، وأفضل أن يكون النهار قد أعلن كامل ملكوته
حتى لا أتلف أعصابكم .. »

- « إذن هو دور مدام (ناهد) ؟ »

- « لو سمحت بهذا .. »

جلست مدام (ناهد) .. وأصلحت وضع شعرها
المستعار الخزفي على رأسها ، وكان قد اتخذ كل
الأوضاع الممكنة منذ بداية السهرة ، حتى لم يعد
شعراً مستعاراً ، لكن عمامة على رأس (مہراجا)
هندي مخبول ..

قالت بعد شهيق عميق :

- « حقاً كانت لى قصة مع باب مغلق .. لا أدرى

إن كانت مخيفة .. لكنها بالتأكيد شائقة .. »

★ ★ ★

الباب الأول كان يدارى سرّاً شيطانياً لملحن شهير ..

الباب الثانى كان يدارى غريقاً اتضح أنه ليس كذلك ..

الباب الثالث كان سبب فشل جريمة ..

الباب الرابع كان يخفى انتقام شبح من قاتليه ..

الباب الخامس كان شركاً مميتاً ..
أما بابى أنا فكان يختلف كثيراً جداً ..
كان هو تجسيد كوابيسى كلها .. ولكم تمنيت
ألا يفتح أبداً ..

★ ★ ★

سافر (جابر) إلى مؤتمر علمى فى (اليابان) ..
مؤتمر له ذلك الاسم الطويل الذى لا يمكن حفظه على
غرار (المؤتمر الرابع عشر لجراحات الأنسجة
المكوّنة لعناصر الدم - ورشة عمل) .. إلخ .
ولما كانت علاقتنا حميمة جداً ؛ كان الوداع مؤثراً
بحق ..

- « حان الوقت .. سلام ! »

- « حسن .. »

ووضع جواز السفر تحت إبطه ، ولحق بالسائق ..
وهو مشهد رأيته عشرات المرات فى حياتى .. كنت
أصرّ على أنه لا يجب شيئاً فى الكون سوى عمله
وسوى نفسه ، بينما كان يرى أننى لا أحب
سوى المال والمظهر الاجتماعى .. محاولة
الظهور كـ (ليدى) ، ذلك الداء الذى يصيب زوجات
الأطباء الناجحين كثيراً جداً ..

أنا لم أطلب شيئاً سوى أن أجده بجانبى .. طيلة
حياتى الزوجية كنت أتصرف كأرملة .. أفعل كل شىء
وحدى .. أحضر الحفلات وحدى .. أذهب للأعراس
وحدى .. أتعاقد على الهاتف وحدى .. أدفع العوائد
وحدى .. أزور شقيقاته وحدى .. أشتري ثيابى
وحدى ..

فقط حين يظهر - فى الثالثة بعد منتصف الليل -
أتذكر أننى متزوجة وأن زوجى حى يرزق .. لكن هذا
لا يدوم أكثر من نصف ساعة بعدها يتعالى شخيره ،
وفى الغالب يغادر الدار فى السابعة صباحاً وأنا نائمة ،
لهذا تعدّ له الخادمة طعام الإفطار ..

والكارثة هى أن كثيرات يحسدننى على هذا الزوج
الناجح ، ويتململن من أزواجهن الموجودين بكثرة ،
ولا يكفون عن العبث فى أصابع أقدامهم على الأريكة ،
وهم يتابعون بتوتر مباراة الأهلئ الأكثر أهمية لهذا
الموسم ..

زوج غير موجود أبداً .. وزوج موجود دائماً ..
وعلى المرأة أن تختار أحدهما للأسف ..

رفعت سماعة الهاتف وطلبت (نرمين) صديقتى ،
وهى أرملة شابة تعيش فى (المقطم) بدورها :

- « (نرمين) .. هل لديك ارتباطات لهذه الليلة ؟ »
دوت ضحكاتها الرفيعة الشبيهة بضحكة (عرسة)
أصابها سرطان الرئة ، وقالت :

- « لماذا تتحدثين بهذه الصيغة الرسمية ؟ ليست
لدى ارتباطات طبعاً .. إن بعضهن آتيات لزيارتى لو
كان هذا لا يضايقك .. »

- « البتة .. »

وهذه من أوجه الخلاف بينى وبين زوجى ، فأنا
اجتماعية كأفراس النهر ، بينما هو متوحد نوعاً ،
وإن كان يقبل الاجتماعيات ، لأنها تتيح له التآلق
الإعلامى الذى يهواه ..

وهكذا ركبت سيارتى الصغيرة ، وتوجهت إلى
منزل (نرمين) ، وهى لا تعيش وحدها لكن لديها
طفلين وخادمتين .. وهذا شئ محبب فى مكان
منعزل كهذا ..

وفى دارها احتشدت أربع نساء من الشلة ،
بعضهن أعرف جيداً ، وهن جميعاً من نادى (الأرامل

- « هوهوهوه ! هيهيهيه ! أنت أيضًا وقعت فى شرك هذا الساحر ؟ لقد وقعت (نازك) هاتم فى شرك مماثل .. إن (القاهرة) تعجّ اليوم بهؤلاء السحرة الأفارقة ؛ وقد تقاضى الرجل منها ألفى جنيه مقابل أن يجعل هيهيهيه ! هوهوهوه ! يحبها ويطلب يدها للزواج .. أنت تعرفين الفراغ الذى تعيش فيه منذ مات زوجها .. وحسبت تلك الشمطاء أن

هنا قاطعتها إحدى الجالسات فى استمتاع :

- « يجعل من يطلب يدها ؟ »

قالت فى مكر وهى تنفث دخانها :

- « لئن أقول .. البيوت أسرار ! »

- « بالله عليك قولى يا (سوزى) .. إن هذا خبر

الموسم .. »

كانت (سوزى) تتمنى الإلحاح ، وبالطبع كانت

ستذكر الاسم :

- « الأستاذ (محمود عونى) ! »

واتفجرت النسوة ضاحكات كما يضحك المعلمون

فى مقهى (بعجر) ، فلم ينقصهن إلا أن يبصقن على

الأرض ، ويطلبن المزيد من الشاى (الكشرى) ...

★ ★ ★

وهنا قطعت مدام (ناهد) حكايتها ، ونظرت
معتذرة إلى الأستاذ (محمود عوني) قائلة :

- « معذرة يا أستاذ .. هذا هو ما حدث .. »
لكن فارس الأحلام كان نائماً ، وقد تدلَّى فكه في
غباء ، وتصاعد منه شخير كفيل بإيقاظ الصم ..
ابتسمت لي ، فقلت لها :

- « لا عليك يا سيدتي .. إن الرجل لا يضايقه في
شيء أن تستعين النساء بالسحرة كي يحصلوا على
حبه .. لربما كان هذا مصدر فخر له إلى حد ما ،
حتى ولو كنَّ من طراز (نازك) هاتم هذه .. »
قالت مدام (ناهد) :

- « إن النساء قد ينجذبن إلى عقل الرجل الناضج
أحياناً .. »
- « لكن ليس دائماً للأسف ! يمكنني أن أوكد لك
هذا ! »

★ ★ ★

قالت مدام (ناهد) :
الحقيقة هي أن هذه المجموعة من النسوة كن
حشداً من العقول الخاوية التافهة .. لا يثير شغفهن

/ المطلقات / المحبطات) الذى اتضمت له من زمن ..
فى هذا النادى يغدو الرجال شيئاً منسياً بعيداً
أو مكروهاً كالجحيم ..

كان الكلام تافهاً سطحياً .. كالعادة ، والدعابات
مكررة .. باختصار كانت أمسية رائعة من الطراز
الذى يروق لى !

وفى الحادية عشرة مساء فرغنا من العشاء ،
وجلسنا على مائدة مستديرة نلعب (الكونكان)
ونصغى لغناء (أم كلثوم) ، وكانت هناك امرأتان
تدخنان ، رفعت واحدة منهما رأسها للسقف ، وراحت
تنفث الدخان فى هيام .. وتغمغم :

- « يا سلام يا ست ! »

بعد نصف ساعة ، وقفت (نرمين) وأعلنت أنها
تشعر بالملل ، وأن ألعاب الورق لم تعد تروق لها ،
ثم قالت وعيناها تلتمعان بالحماس :
- « سأريكن مفاجأة صغيرة ! »

★ ★ ★

« اللى شفته .. اللى شفته .. »

قبل ما تشوفك عنيّه ، عمر ضايح يحسبوه إزاي عليا ؟

الى شفته

★ ★ ★

كلا لم تعُدْ لنا بلوح (ويجا) الذى تستخدمه النساء
لتحضير الأرواح ، لو كان هذا ما جال بذهنكم ، وهو
تسليّة نساء كثيرات من هذه النوعية ..

عادت بشيء ألطف بكثير .. جمجمة آدمية
موضوعة فوق وسادة من (الساتان) الأحمر ، وقد
وُضعت شمعتان قصيرتان فى مجرى العينين الرهيبيين ..
ربّاه ! لم يكن منظراً محبباً بالتأكيد ؛ خاصة مع
ضحكة الموت العابثة الساخرة على فم الجمجمة ..

قالت إحدى النسوة ضاحكة :

- « يا ساتر ! هل قررت استدعاء العفاريت لقضاء
الأمسية ؟ »

نظرت لنا (نرمين) لترى تعبيرات وجوهنا ، التى
تباينت بين التقرّز والفضول والاستمتاع ، وقالت :

- « إن لهذه الجمجمة شأنًا كبيراً .. وقد حصلت
عليها مقابل مبلغ لا بأس به من المال من ساحر
(تنزاتى) جاء إلى (القاهرة) منذ أسبوع .. »

اتفجرت النسوة مقهقهات ، وسعلت إحداهن كثيراً
ثم قالت بين ضحكاتها :

سوى آخر فضيحة ، ويسيل لعابهن للقليل والقال ..
إنهن عاطلات بالوراثة ، ثريات إلى حد الاختناق ،
وفكرهن أضل من فكر دجاجة ...
حقاً ! أحياناً كنت أشعر أنني وسط مجموعة من
الدجاج ، لا يكف عن الصياح والتضارب بالمناقير ،
وبعثرة الأرز ...
أعود لقصتي إذن

قالت (نرمين) فى كبرياء وهى تمسك بالجمجمة :
- « إن السحرة يختلفون .. هذه الجمجمة هى
لساحر (تنزاني) فائق القدرات ، ومن المؤكد أنها
تحقق أمنية واحدة لكل من يطلب منها شيئاً .. »
- « هذا ما قيل لـ (نازك) بالحرف ! »
ومن جديد دوت الضحكات الساخرة ..
هى يى يى يى ! .

الآن يحمّر وجه (نرمين) فى عصبية .. تضع
الجمجمة على المنضدة المستديرة بينهما .. تأخذ
قداحة إحداهن لتشعل بها الشمعتين فى المحجرين ..
تقول فى تحدّ سافر :
- « دعينا نجرب ! وسنرى من يضحك أخيراً ... »

- « رهان ؟ »
- « رهان ... »
- « فلتبدئي أنت يا صغيرة .. اطلبى شيئاً عسيراً ..
مثل .. مثل ... »
وحكت (سوزى) ذقتها المزدوجة بظفرها ، ثم
قالت فى خبث :
- « اطلبى أن يعود زوجك المرحوم للحياة !! »

★ ★ ★

لثوان ساد صمت بليغ ، وتلاقت عينا المرأتين
فى تحدّ واضح ، ثم همست (نرمين) بصوت
مبحوح :

- « ليكن .. سأتمنى هذا الآن ! »
انتصب شعر ساعدى ذعرًا ، وصحت .
- « لا يا (نرمين) ! لا مزاح فى أمور كهذه ..
كله إلا هذا .. »

فى تحدّ همست دون أن تنظر لى :
- « تأخرتِ يا صغيرتى .. أتمنى أن يعود زوجى
لى ! »

★ ★ ★

نصاب يكسب رزقه من الثريات خاويات العقل ..
هذا هو ساحرها الإفريقى .. حتمًا هو كذلك .
ولكن .. لو كان هذا صوابًا ؛ فلماذا انطفأ النور
الكهربى فى اللحظة ذاتها ؟!

★ ★ ★

دَوَتْ بعض صرخات ، وشهقت واحدة منهن حينما
لم يعد من نور سوى البصيص الأحمر المنبعث من
عيني الجمجمة ..

ثم عاد النور الكهربى من جديد .. ومعه ساد جو
من التوتر .. لقد مات المرح للأبد ، وبدا أن الخوف
قد انضم لمجسنا ..

همست إحداهن ويدها ترتجفان :

- « أخشى .. أخشى أننا ارتكبنا خطأ جسيماً .. »

فى ثقة قالت (سوزى) وهى تنهض :

- « لا تكونى سريعة التأثر يا (نانى) .. هل

تتصورين أن نجىء غداً لنجد (قاسم) بك جالساً فى
غرفة المعيشة يشاهد التلفزيون ؟

لو كان هذا ممكناً لطرت فرحاً .. سأتمنى وقتها أن

يموت زوجى أنا ! »

وانفجرت ضاحكة لكن أحداً لم يشاركها المرح ..

وببطء بدأت الموجودات ينسحبن .. كل واحدة

منهن تقبل (نرمين) وتشكرها على السهرة اللطيفة ،

ثم تهرع بخطأ مرتجفة نحو باب الخروج ، كأنما

تتنفس الصعداء ...

★ ★ ★

وكذا وقفت و (نرمين) نتبادل نظرات صامته
تقول الكثير ..

قالت وهى ترتجف انفعالاً :

- « هل ستتركينى أنت أيضاً ؟ »

كدت أفتح فمى ، لكنها احتضنتنى فى عنف ،
وهمست والدموع تخنق صوتها :

- « أرجوك لا تذهبى ! إبنى خائفة .. أموت هلعاً .. »

- « لكن »

- « إن زوجك مسافر لعدة أيام ، ولا أطفال لك ..

ما المشكلة لو أمضيت معى ساعات الليل هذه ؟
سأطلق سراحك فى الصباح .. فقط لا تتركينى فى
ساعات جزعى وتوجسى .. »

ماذا أقول ؟ لا شىء طبعاً ..

وهكذا قبلت أن أمضى الليل مع (نرمين) ،
والحقيقة هى أننى خفت بدورى أن أعود لبيتى الخالى
فى هذه الليلة بالذات .. هى لديها خادمتان وطفلان
وبرغم هذا خائفة .. ماذا عنى أنا ؟

★ ★ ★

اتجهت (نرمين) إلى المطبخ ، وعادت حاملة

صحفة عليها كوبان من الشاى لا يدلان على براعة
فى التقديم .. ووضعتها أمامى ..

- « أين الخادمتان يا (نرمى) ؟ »

- « فى إجازة .. ألم تلحظى هذا طيلة السهرة ؟ »

- « والطفلان ؟ »

- « نائمان كالملائكة فى غرفتهما .. سنتكلم قليلاً

وتحكين لى عن آخر مشاكلك مع زوجك ، ثم ندخل

لننام فى غرفتى .. ولن نتكلم عن السحرة الأفارقة

أبدأ إذا كان هذا يروق لك .. »

- « ليس أحب لى من هذا .. »

وكذا أمضينا ساعة أو أكثر فى ثرثرة نسائية

سخيفة ، ثم نهضت (نرمى) وتمطت وأعلنت أن

الوقت قد حان للنوم ..

★ ★ ★

كان هذا حين بدأ جرس الباب يدق ...

تبادلنا نظرة فزعى .. نظرة أنثيين سمعتا جرساً

بعد منتصف الليل .. وهمست فى رعب :

- « جرس الباب ! هل تنتظرين أحداً ؟ »

مطت شفتها السفلى أن لا ، وأنصتت السمع ..

- « لا بد أنه متشرد قد »

من جديد عاد الجرس يدق بإصرار ، ضاغطاً على
أعصابنا بالحاح وازداد توترنا ..
رأيتها تهرع لتفتح الباب ، دون حيلة ، فصحت
بها :

- « توقفي يا حمقاء ! لا بد من أن نعرف القادم
أولاً .. »

كان هذا سهلاً .. فالبيت يشبه بيتي .. (فيلاً) من
طابق واحد ، لها باب رئيسي مزود بعدسة كاشفة ..
أضأت نور المدخل ، ونظرت عبر العدسة ، فلم أر
أحدًا .. كان المدخل خاوياً ، فلا بد أن من دق الجرس
كان يقف جوار الباب الآن حيث لا يرى بسهولة ..
وبالتأكيد لغرض يختلف عن بيع اللبن ..

كانت هناك خرق من قماش ملقاة كيفما اتفق أمام
المدخل ، لكني لم أدر سبب وجودها في تلك اللحظة ..
- « من الطارق ؟ »

سألتني في لهفة ، فهزرت رأسي :

- « لا أدري .. لكن بوسعنا تركه حيث هو .. شيء
يحدثني أن فتح الباب حماقة ما بعدها حماقة .. »

دوى رنين الجرس ثانية ..
ثم جاء صوت الطرقات العنيف المصر .. طرقات
من يعرف أن له كل الحق فى الدخول هاهنا ..
بوم بوم ! بوم بوم ! ..

ثم صوت رجل ينادى :
- « (نرمين) ! (نرمين) ! »

★ ★ ★

نظرت لوجه (نرمين) آملة أن أجد عدم الفهم
على وجهها ، لكنى وجدت وجهها يتبدل ببطء - كما
يتحول بطل الفيلم إلى مذعوب فى السينما - ليمر
بطور من الدهشة ، فالرعب ، فالحيرة ، فالفهم ، ثم
بدأت ابتسامة ترسم على ملامحها ..

ابتسامة هى أقبح ما رأيت فى حياتى ...

- « (قاسم) ! لقد عاد ! »

- « هل تمزحين ؟ »

- « الصوت صوته .. لقد عاد بحق ! »

ومن جديد عاد الطرق والرجل يصيح فى نفاذ

صبر :

- « (نرمين) ! »

رباه ! وقطع القماش الممزقة أمام الباب !
ورأيته تهرع إلى الباب ، وتعالج المزلاج فى
هستيريا ، وهى لا تكف عن الصياح كأتما جن جنونها :
- « زوجى ! لقد عاد ! ليس معه المفتاح ! الأكفان
لا تصلح لتعليق المفاتيح .. هذا طبيعى .. صبراً
يا (قاسم) .. سوف »

- « هل جنت ؟ »

وهرعت أمنعها ..

لن يدخل هذا الشيء إلى المكان ، أكان زوجها أم لم
يكن .. يجب أن أمنع هذه المجنونة من ... كانت
قوية بحق وقد منحتها اللهفة قوة عاتية .. لكنى
تشبثت بمعصمها فلما لم أفجح غرست أسناني بقوة فى
لحمه .. صرخت وتراجعت للوراء ، بينما الصوت
يتوغل :

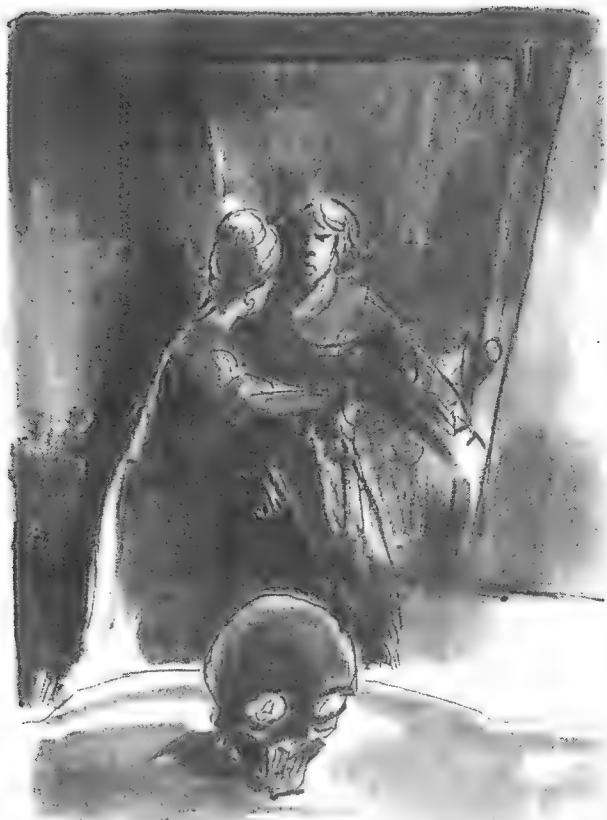
- « (نرمييين) ! البرد شديد ها هنا ! »

صاحت فى تنمر وهى تتحسس موضع العضة :

- « هل جنت أيتها الحمقاء ؟ »

- « بل أنت من جن هنا .. كيف تسمحين لشيء

كهذا بدخول دارك ؟



وهرعت امنعها ..
لن يدخل هذا الشيء إلى المكان ..

لو كان زوجك فهي كارثة ، ولو لم يكن زوجك
فالكارثة أعظم .. »

- « لكنه (قاسم) .. زوجي ! »

- « يا سلام ! ألا تجدان ما يخيف في كل هذا ؟ »
بدأت على وجهها رقعة بلهاء ، وهمست بينما
الطرقات تتعالى :

- « (قاسم) رقيق كاللحم ، ولن يؤذينا .. »
المصيبة هي أنني بدأت أصدق هذا .. كنت واثقة
من أن الموتى لا يغادرون قبورهم ، لكن ما هي قدرات
السحر الأسود بالضبط ؟ هل يمكن أن ؟

- « (نرمين) .. أرجوك لا تفتحي هذا الباب ! »
- « أريني سبباً يمنعني ! لقد تحققت أمنيته
الوحيدة ! »

- « ولكن »

هنا وجهت ركلة لساقى ، ثم كورت قبضتها
ودفنتها في معدتي ، وعندها وجدت نفسي أتلوى على
الأرض ، بينما هي تعالج المزلاج في صبر ..
- « أين وضعت المفتاح ؟ لقد أغلقته بالمفتاح ..
سوف »

وهرعت تفتش عن مفتاح الباب ، بين كل تلك
الأكواخ الخرفية التى يعلقونها جوار الأبواب لتتدلى
المفاتيح منها ..

لم تكن أمامى فرصة أخرى سوى
ها هى ذى الجمجمة .. مازالت تضحك ضحكة
الموت الساخرة ، وبقايا الشمعتين فى المحجرين لن
تنته بعد ..

هل يمكن أن ؟

تقززت من الفكرة ، لكننى تقززت أكثر من أن
ينفتح الباب لأجد هذا الشئ المقيت أمامى .. لماذا
قبلت المبيت ها هنا ؟

ودنوت من الجمجمة ، وأغمضت عيني ، وتمنيت
بصوت عال :

- « أتمنى أن يرحل هذا الشئ الآن ! »
وانتظرت أن ينطفئ النور ، فقد تعلمت أن هذه هى
علامة قبول الأمنية ، لكن شيئاً لم يحدث ..
أغمضت عيني وتمنيت بصوت أعلى .
- « أتمنى أن يرحل هذا الشئ الآن ! »
وعندها حدث شئ غريب ..

★ ★ ★

انفتح الباب لأجد .. كل النسوة اللاتي كن فى
الأمسية يدخلن للمكان ، وكلهن يقهقهن فى مرح
مجنون ، ومعهن بواب الفيللا الذى رأيتَه عند قدومى
فى بداية الأمسية ..

والأغرب كان التبدل فى موقف (نرمين) .. لقد
استندت بذراعها الأيمن إلى الباب كأنما لا تستطيع
الوقوف ، وراحت تهتَزْ مرارًا بضحكة مجنونة .. ثم
انتصبت مترنحة ، وصاحت :

- « هـى هـى هـى ! هل رأيتن ؟ »

ثم أشارت إلى البواب الذى كان يضحك بدوره :

- « هذا هو صوت المرحوم زوجى ! »

كنتُ الغباء مجسّدًا ، لذا قالت (سوزى) وهى

تجفف دموعها

- دموع الضحك - بمنديل :

- « معذرة يا (ناهد) .. لقد راهنتنى (نرمين)

على أنها قادرة على جعلك تموتين ذعرًا .. قلت

لها إنك قوية جريئة ، لكنها أصرت على هذا .. طلبت

مساعدتى ، وأعدت لك هذه التمثيلية من الجمجمة إلى

الطرقات على الباب .. وطبعًا (عباس) هو من أطفأ

النور لحظة التمنى .. لقد بلغ بك الذعر إلى حد أن
تتوسلى إلى هذه الجمجمة الحمقاء ! »

نظرت لهن غير مصدقة ، وقلت شيئاً على غرار :
- « أنتن .. أنتن »

ضربت (نرمين) على كتفى فى مرح ، وهتفت :
- « لا تنسى أنك مزقت لحم ساعدى .. هيا يا صغيرتى
be a Sport .. (كونى ذات روح رياضية) ! »

انتزعت يدها فى عصبية ، وهرعت أغادر هذا
المنزل المنحوس فى الظلام ..

مزحة ! مزحة قاسية ! من أى حجر قذت هذه
القلوب ؟ امرأة تقحم ذكرى زوجها الراحل فى مزحة
كهذه ، ونسوة ظللن ينتظرن فى الظلام كل هذا الوقت
كى يتسلين على حسابى .. وأنا .. أنا الحمقاء التى
تم استغلالها عاطفياً ونفسياً دون ذنب جنته ...

كنت أقود سيارتى ، أكاد لا أرى شيئاً من الدموع ،
وأقول من بين أسناتى :

- « حمقاوات ! عشيرة من الدجاج خاوى العقل !
غبيات !

« غبيات ! غبيات ! »





الباب السابع

« زنزانة خريولسن »

يفتحه : د. (رفعت إسماعيل)

« لم أعلم وقتها ما يرمى إليه الرجل ، ولم
أعلم أنني أول دم أجنبي يدخل هذا الكهف من
سبعة أجيال .. »

انتهت مدام (ناهد) من قصتها ؛ وكان من السهل
أن تدرك الأثر الحقيقى لما حدث لها ، من رجفتها ،
والدمع الذى بدأ يحتشد فى عينيها ويسيل من أنفها ..
إهانة لم تعتدها ولا تجد لها داعياً ..
قلت وأنا أثنى ساقى تحتى :

- « كنت أتوقع هذه النهاية بسهولة .. فعودة
الموتى من قبورهم أمر يتعارض مع الدين ومع العلم
معاً .. والإساءة الحقيقية التى سببتها لك هذه الدعابة
هى جعلك تفترضين أن هذا ممكن .. لقد اصطدمت فى
حياتى بكثير من التجارب المماثلة ؛ لكن هذا المقياس
لا يخيب أبداً .. ربما قابلت مذعوبين ، وربما قابلت
أشباحاً أو مصاصى دماء ، لكن الموتى لا يعودون من
قبورهم أبداً .. »

- « لم يكن ذهنى بهذا الوضوح وقتها .. »
هنا سألنى المطرب الولهان بصوته المبحوح :
- « هل لديك بدورك قصة عن باب ؟ »

نظرت حولى .. كان (محمود عونى) نائمًا ، وكذا
شاعرتنا الثائرة .. وقد ضايقتى هذا لأنى فقدت اثنين
من جمهورى .. لكن ما كنت أملك حماسًا زائدًا
يجعلنى أوقظهما ...

قلت بعدما تتأعبت :

- « سأحكى لكم أفضلها .. ولكن لاتقا .. آآآ ..

طعونى .. »

★ ★ ★

قلت لهم :

الباب الذى أتحدث عنه لم يكن فى مصر ..

لم يكن فى مكان تعرفونه ...

الباب الذى أتحدث عنه لم يكن بابًا خشبيًا

أو حديديًا ؛ بل كان أقرب إلى جدار سميك يُهدم

ولا يُفتح ...

لكن الناس هناك كانوا يسمونه بابًا ...

★ ★ ★

كان هذا فى (إنجلترا) .. فى كهف قرب قرية فى

(ويلز) ...

كان الفلاحون يمرّون أمام الكهف ، ويتكلمون عن
(خريولسن) الحبيس هناك ، وعن الساحرة التى
أنجبته ، والتى أعدمته محاكم التفتيش ودفنتها
ها هنا .. فى ما سموه بـ (زنزاة خريولسن) ...
قالوا إن الساحرة فى لحظة احتراقها قالت :
- « سيحل الشؤم بكم سبعة أجيال .. وسيعود
ولدى (خريولسن) حين يفتح الباب له رجل من دم
أجنبى .. »

كانت هذه هى النبوءة وقد نسيها كثيرون
لكن ما لم ينسه أحد هو أن المصائب لم تفارق
القرية لحظة ، طيلة تاريخها المديد ..

★ ★ ★

وبعد أعوام طويلة جئت إلى الكهف ، لأقف أمامه
مع د . (هنرى ليستر) ، وقال لى الرجل كلاماً كثيراً
عن الآثار العتيقة التى وجدها فى هذا الكهف ، والتى
تضيف الكثير إلى معلوماتنا عن تاريخ (ويلز) فى
القرون الوسطى ...

ناولنى مطرقة ، وطلب منى أن أفتح هدم هذا
الباب الحجرى ، الذى يفصل ثلث الكهف عن ثلثيه ،
والذى لم يجرب أحد عبوره .

- « ولماذا أنا ؟ »

- « لأنك ضيقنا .. وهذا شرف لنا .. »

وانتشيت فخراً ، وبدأت أول ضربات أحاول بها
تهشيم هذا الجدار .. ولم أعلم وقتها ما يرمى إليه
الرجل حقاً ، ولم أعلم أنني أول دم أجنبي يدخل هذا
الكهف من سبعة أجيال .. ولم

★ ★ ★

وهنا توقفت عن سرد قصتي ...
لقد سمعنا جميعاً صوتاً غريباً جمّد الدم في
عروقنا ...

★ ★ ★

الخاتمة

« أنا لو أنساكى حافتكر مين ؟

.. من بعد هواكى حياتى أنين »

لم أجد الوقت الكافى لاستكمال قصتى عن زنازة
(خريولسن) ، والتى أعد القراء بأن أحكيها بالتفصيل
يوماً ما ؛ لأن صوت جسم ثقيل يسقط ثقب مسامعنا ..
وفتح من كان غافياً عينيه فى ذعر ، وتساءل :
- « ما هذا ؟ »

نهضت مدام (ناهد) ، ونظرت فى حذر إلى
الغرف المغلقة ، وقالت :

- « الصوت من غرفة المكتب ! ثمة شخص هناك ! »
وقفنا متصلبين ؛ عاجزين عن اتخاذ قرار صائب ،
وقال المخرج العجوز (أبو النجا) فى توتر :
- « فلنر ما هنالك ! »

قلت له وأنا أضغط على معصمه فى رفق :
- « لا تنس الاتفاق وما نحن فيه الآن .. ربما
كانت هذه وسيلة لجعلنا نفسى الحذر ، وندفع بحماقة
إلى الحجرة .. »

فى ضيق غمغم (محمود عونى) ، وهو يفرك
عينيه :

- « لقد طالّت هذه الدعاية على كل حال ؛ والساعة الآن الثامنة والنصف صباحاً .. لا بد من نهاية ما .. إن هذا موعد وصولي إلى الجريدة ، فأتأ طائر مبكر .. ولم أتخل عن هذا ثلاثين عاماً إلا لإجازة قصيرة .. »

- « أنا كذلك لدى ما أحتاج للعودة إلى دارى من أجله .. بالمناسبة أنا سعيد بكونك تعمل بهذا الحماس صباح الجمعة .. »

- « ليست هناك عطلة أسبوعية للصحفى .. »

- « لهذا أرى أن الوقت قد حان كى نعيد تقييم الموقف ، ولربما قررنا أن نفتح أحد هذه الأبواب بعد كل شىء .. »

★ ★ ★

شطائر وشاى من جديد !

لقد التهمت شطائراً وشربت شاياً فى هذه الليلة كما لن أفعل طيلة حياتى لو عشت ؛ والمشكلة هى أن كل هذا الشاى ألهب معدتى ، وجعلنى أجتاز حالة (اللانوم - لا يقظة) التى أمقتها .. ذهنى مببل كمن

يتهيأ للنوم ، لكنه متوتر مشدود كمن فى ذروة
يقظته .. لا أستطيع البقاء مفتوح العينين لكنى
- كذلك - لن أنام لو حاولت ..
قلت لهم :

- « الموقف الآن بسيط جداً .. لقد انتظرنا لفترة
طويلة ، وما زال من الممكن أن ننتظر أكثر ، لكن
هناك خياراً آخر هو أن نحشد أعصابنا وندخل .. فى
هذه الحالة على كل منا أن يخمن الباب الصحيح ،
وعليه أن يقدم أسباباً مقنعة ... »
قالت (هيام) وهى تطرف بعينيها الحمرأوين من
فرط السهاد :

- « الأمر واضح .. الغرفة الآمنة هى غرفة
السينما .. أكثرنا ها هنا فنانون لهم علاقة بفن
السينما ، ولا بد أنه يخبرنا أن الفن هو خلاصنا مما
نحن فيه .. »

- « ربما كان العكس ! »
قالتها (ناهد) فى ثقة ؛ وأردفت وهى تنظر
لعيوننا .

- « لقد كان زوجى يسخر فى سره منكم ، ويكره
افتعال وضحالة بعضكم ، ومن الوارد جداً أن يضع
انتقامه فى هذه الغرفة بالذات .. »

أضفت أنا وقد راق لى كلامها :

- « هذا يبدو معقولاً .. وأضيف أنا أنه لو كان قد
قرأ (شكسبير) ؛ فمن المنطقى أن يكون الباب
الصحيح هو أقل الأبواب جاذبية وبريقاً .. مثلما حدث
مع صورة الحسناء (بورشيا) فى (تاجر البندقية) ..
إننى أرشح باب غرفة المكتب .. »

نظرت لى (ناهد) غير فاهمة ، وتقلص وجهها
مستنكرة :

- « أظن أن باب غرفة الجلوس هو الأدنى
للصواب .. ما دام يعتقد أنه شهيد الحياة الزوجية مع
امرأة مفترسة مثلى .. يريد أن يقول لى : إن النجاة
هى فى حياة منزلية مستقرة .. »

قال الأستاذ (محمود عونى) وهو يشعل غليونه ،
بعد إفطار حافل :

- « أنا أضم صوتى لد . (رفعت) بصدد غرفة
المكتب .. فالرجل مثقف عالم ؛ ولا بد أن هذه الغرفة
مقدسة بالنسبة له .

هذا يضع النقاط على الحروف .. »

فى اشمئزاز قالت الشاعرة دون أن تنظر لأحدنا :

- « حمقى هم أنتم .. تمشون لنهايتكم فى إصرار

كدراما إغريقية كتبها (سوفوكليس) .. »

- « معروف أننا حمقى .. لكن لماذا هذه المرة ؟! »

دست قدميها فى حذائها ووقفت ، وقالت دون أن

تنظر لنا :

- « رقم سبعة .. الرقم المختار .. ألا يشير

لشيء ما ؟ »

هنا اتسعت عينا (ناهد) فى فهم .. وارتجفت

شفتاها :

- « رباه ! غرفة السينما بها سبعة مقاعد .. أنت

محقة يا (نادية) .. إنها لم تنس هذا الرقم ، لأنها

دخلت تلك الغرفة مراراً ، لترى أفلام الهواة التى كان

زوجى يصورها .. لقد سألته يوماً ساخرة عن سبب

إصراره على سبعة مقاعد لا أكثر فى هذه الغرفة ..

لماذا لم تكن ستة أو ثمانية مقاعد ، فقال لها إن رقم

(سبعة) مهم بالنسبة له ... »

هنا فرد (سمير الصياد) يديه كأنما يغنى ، ورفع حاجبيه حائراً :

- « وهذا معناه الدخول أم عدم الدخول ؟ »
- « ياله من سؤال ! الرجل يتفاعل برقم سبعة .. ندخل طبعاً ! »

قلت لها مفكراً :

- « بالعكس .. لو فكرت بطريقة أخرى لأجملت عن الدخول .. نحن سبعة ونهايتنا فى غرفة ذات سبعة مقاعد .. رقم (السبعة) يأخذ طابعاً ملحمياً محبباً للنفس .. »

من جديد ابتسمت الشاعرة فى ثقة ، ونهضت إلى مكتبة أنيقة على الجدار تراصت عليها كتب لم نلاحظها طبعاً طيلة الأمسية ، وأشارت إلى الكعوب ، وقالت :

- « ثلاث نسخ من كتاب (أعمدة الحكمة السبعة)

الذى كتبه المغامر الشهير (لورانس) الذى لقبوه بـ (لورانس العرب) .. هذه رسالة واضحة جداً ؛ ومشكلتكم هى أنكم سطحيون .. لقد اعتادت عيونكم أن تنزلق انزلاقاً فوق الكتب ، بينما تثبت على تفاهات الحياة .. »

وأخذتُ شهيقاً عميقاً وقالت :

- « الحل يكمن فى غرفة المكتب ! »

قال المخرج الكبير فى سخرية :

- « يا سلام ! بهذا الوضوح ؟! لم لا يكون قد

قصد فيلم (لورانس العرب) الذى أخرجه (ديفيدلين) ،

والذى قدّم (عمر الشريف) للسينما العالمية ؟ هنا

يكون مفهوماً أنه يشير لغرفة السينما ! »

ونهض متأوفاً ، فقد تحولت ساقاه إلى لوحى

خشب بعد كل ما جلس خاصة مع داء التهاب العظام

المفصلى ..

قلت بدورى بلهجة الحسم .

- « الحق أننا نطيل التفكير أكثر من اللازم .. ربما

لم يكن الرجل يقصد شيئاً أصلاً . ربما ليس بهذه

الثقافة وخلو البال .. لسنا - بعد كل شيء - فى

حلقة من حلقات (هولمز) ، ولا نحن بصدد قصة

(الحشرة الذهبية) لـ (إدجار آلان بو) .. ربما كان

الأمر أتفه من هذا .. من أية حجرة سمعنا صوت

الارتطام ؟ »

قالت مدام (ناهد) مشيرة بأناملها نحو باب من

الأبواب .

- « من غرفة المكتب .. هنا ! »

- « إذن لنتوكل على الله ونفتحها .. لوظللنا

ها هنا إلى يوم الدين فلن نصل إلى قرار ما .. »

★ ★ ★

- « أنت الأول يا د . (رفعت) ما دمت صاحب

الفكرة ! »

وتركونى أتقدم إلى الباب ، وتراجعوا تحسباً

للأسوأ ..

ارتجفت يدي قليلاً .. الحقيقة هي أن الباب اكتسب

ثقلًا معنويًا رهيبًا بالنسبة لى ، وشعرت كأئننى على

وشك فتح بوابة (جانب النجوم) ذاتها .. المقبض

يدور .. ريقى يجف .. نبضى يتسارع ..

صوت صرير خافت .. ثم ...

ثم (هيام) تصرخ فى هلع ..

★ ★ ★

ووثبنا جميعًا للوراء ، بينما ركض الفأر الأبيض الصغير بين سيقاننا .. وكانت صرخة (هيام) شبيهة بامرأة ينتزعون عينها بمسمار صدئ ..

- « فأر ! إىىىىىىى ! »

صحت في هيستريا :

- « صمتًا ! »

إن النساء يصرخن دومًا حين يرين فأرًا ، لا بسبب الذعر على ما أظن ، ولكن لأن العادة تحتم أن يصرخن .. وذعرهن يكون مخيفًا أكثر من الفأر نفسه ..

وعدت أنظر عبر فرجة الباب إلى الحجرة ..

★ ★ ★

كانت مظلمة هادئة أنيقة ، تضوع برائحة عطر خفيف رجولى ، يمتزج مع رائحة الكتب المحببة امتزاجًا .. مكتب فاخر من طراز (لويس ما) .. لا بد أنه أحد (اللويسات) الذين يخيل إليك أنهم لم يفعلوا سوى صناعة الأثاث فى فترات حكمهم ..

الكتب على رفوف جدارية ، أكثرها طبى طبعا ..
لمحت هذا فى الضوء الخافت القادم من وراء ستار
من القطيفة ..

على الأرض أمام المكتب كان كتابان قد سقطا ،
وانفتحت صفحاتهما ، وفى ركن المكان هرع فأر
أبيض يتوارى مذعورا ...

قلت لمدام (ناهد) وأنا أدخل باطمئنان أكثر .
- « هذا هو مصدر ما سمعناه .. أحد الفارين أسقط
الكتابين من موضع خرج كانا فيه على حافة المكتب .. »
قالت (هيام) فى اشمئزاز ، وهى تواصل النهيئة :
- « فئران فى بيتك .. رباه ! كنت أحسبه نظيفا ! »
قلت قبل أن تفترسها (ناهد) .

- « فئران بيضاء ! هذا يدل على أنه اشتراها
خصيصا ليضعها هنا .. لو كانت الفئران التى تتسلل
للبيوت القذرة بيضاء ؛ لبدأ لى هذا جميلاً .. »
- « وما معنى هذا ؟ »

- « لاشيء سوى العبث .. كان يعابثنا ، بالإضافة إلى
أن أصوات الفئران فى أثناء حركتها ستملؤنا بالتساؤلات
حتما .. إنها لعبة أعصاب مختارة بعناية .. »

واتجهت إلى باب غرفة السينما لأفّتحه ..

★ ★ ★

ولم تكن هناك فئران بالداخل ..
فقط سبعة مقاعد ، وشاشة بيضاء ، وآلة عرض ،
ومطفأة تبغ هنا أو هناك ... ولاحظت أن آلة العرض
معبأة بفيلم ..

ساد الصمت .. ثم قالت الشاعرة النائرة :
- « يبدو الأمر موحياً .. يريد منا نحن السبعة أن
نجلس ونشاهد هذا الفيلم ، ولا يعلم إلا الله - تعالى -
ما يحويه .. »

دنا المخرج العجوز من آلة العرض ، وعالج
زراً بها ، من ثم بدأت الأرقام المميزة تتوالى على
الشاشة ، ثم بدأت الصورة مع الهدير ...
كان هذا هو (جابر) شخصياً .. على الشاشة ..
ومن الواضح أنه قام بتصوير نفسه في غرفة المكتب ؛
لأن الإضاءة لم تكن على ما يُرام ، ومعظمها
من الناحية اليسرى حيث النافذة كما في لوحات
(رمبرانت) ..

- « مرحباً بوصولكم إلى هنا ! »

قالها وهو يبتسم فى خبث ، فتبادلنا النظرات ..
هذه بالفعل رسالة واضحة مباشرة لنا.. قال المطرب:

- « إذن كان الأمر »

- « إخرس ! »

- « إخرس ! »

دوت ست عبارات (إخرس) ، فخرس ، ولولا
الظلام لقلت إن أذنيه احمرّتا خجلاً .. آخر شيء
نحتاج إليه هو الاستنتاجات الذكية ..

وعلى الشاشة واصل (جابر) الكلام فى تؤدة :

- « لا أدرى من بقى منكم هنا ليشاهدوا هذا الفيلم ،
ولا أدرى إن كنتم وصلتم إلى هنا بالصدفة أم بتفكير
منظم .. لكنى أرحب بكم .. فى الواقع خطرلى أن
تلمحى إلى رقم (سبعة) سيذكركم بالفن السابع :
السينما ، ويقودكم إلى هنا ..

« الآن أعترز عما سببته من أذى وقلق لكم ...

« لو سارت الأمور كما أتخيل ؛ فلا بد أنكم أمضيتم
ليلة سوداء تضربون أخماساً بأسداس ، وتتساءلون
عن انتقامى .. فى الحقيقة هذا هو الانتقام بعينه الذى
رتبته لكم ..

« أنا لست إرهابيًّا ولا خبيرًا فى تدريب الكواسر والوحوش » أنا رجل مثقف مسالم ، ولا بد من انتقامى أن يكون مثقفًا مسالمًا كهذا ..

« لا باكتريا طاعون .. لا عناكب سامة .. لا ألغام أرضية .. ولا حتى إناء من الزيت المغلى يسقط فوق رأس من يفتح الباب ..

« فقط الخوف من المجهول .. فقط عدم الاطمئنان .. هذا هو انتقامى .. أما لماذا أنتقم منكم ؟ فقد سمعتم شريط التسجيل ، وهنا أضيف أن المجتمع يعانى من غثاثة وهشاشة وتفاهة لا تصدق .. وما فعلته هو بمثابة صرخة احتجاج أخيرة تقول : أنت تافه بحق أيها المجتمع .. جرب مشاعر القلق مرة واحدة على يدى

« والآن أفارحكم دون ضغائن .. وأعرف أننا لن نلتقى ثانية .. إن محامى يملك كل التفاصيل القانونية يا (ناهد) ، ويعرف كيف يستعيد جسدى من الولايات المتحدة ليُدفن فى قريتى : وهو سيرتب لك كل تفاصيل الميراث .. فلا تقلقى .. »

هنا صاحت (هيام) وقد شعرت بأنه ينهى الكلام :

« لحظة ! أين المخرج من البيت ؟ »
كأنما سمع صيحتها ، ابتسم بخبث على الشاشة
وقال :

« بالمناسبة كدت أنسى أن أخبركم بطريقة الخروج
من هنا .. إن الباب الرئيسى مفتوح ، وليس مغلقاً
بالمفتاح كما توهمتم !
« والآن وداعاً ! »

★ ★ ★

وخرجنا كأطفال أشقياء ، سمحت لهم المعلمة
القاسية بالفسحة نضحك فى بلاهة .. نرمق السماء
غير مصدقين .. نضرب أكفنا مصافحين ، وراحت
(هيام) تدور حول نفسها وقد فردت ذراعيها ، مئات
المرات كأنها (نحلة) مما يلعب بها الصبية .. أما
الشاعرة فراحت تسعل معبرة عن سرورها ..
لقد كنا بلهاء بحق ..

هذه إهانة عاتية ، جعلت منا الغباء مجسداً .. ولن
ينسى أحدنا أبداً هذه الصفعة الوهمية على خده ، كلما
فكر فى ذكائه وبراعته ..

لكن كل شىء انتهى على ما يُرام ..

★ ★ ★

وبعد أسبوعين توفي د . (جابر) فى مستشفى
ب (منيسوتا) ..

تفرقنا وتباينت مصائرنا ، لكن كلاً منا لم ينس قط
هذه اللحظة الإنسانية الحميمة التى وُحِّدت بيننا ،
وشعوره بأن الآخرين لم يكونوا بهذا السوء ..
ربما تستطيع أن تحبهم بشيء من الجهد لو أردت ...

★ ★ ★

كانت هذه حلقة الرعب الرابعة
تُرى هل أخبركم الآن بمحتوى حلقة الرعب
الخامسة ؟ «

بالطبع لا .. هل تعرفون لماذا ؟
لأن هذه حلقة أخرى .

د . / رفعت إسماعيل
القاهرة

دكتور / رفعت إسماعيل مع القراء

أصدقائي ..

الآن نصل إلى الجزء الذي يثير إمتاعى أكثر من
أى جزء فى هذا الكتيب ، والذي برهنت عن فشل
ذريع فى إبقائه مستمراً ، دائماً لا ألحق بالمطبعة
أو لا تلحق بى المطبعة ، لهذا - من جديد - أقدم
اعتذارى ، وأحاول أن أقدم عدداً من الخطابات هو
ضعف العدد المعتاد ..

دعونا نبدأ الآن حالاً ..

• الصديقة / مريم محمد - قطر :

(مريم) صغيرة السن جداً لكن إنجليزيتها جيدة
بحق ، وقد أغراها هذا بكتابة أغان بالإنجليزية ..
وهى محاولة جريئة حقاً .. لكنى غير شديد الحماس
لها ، لأننى أعتقد أن الأحاسيس الحقيقية لا يمكن
التعبير عنها إلا بلغتنا الأم .. فيما عدا هذا يغدو الأمر
افتعال عواطف ولعباً باللغة ..

إننا لن نفكر أو نشعر أبداً كالإنجليز .. لا أعنى
بهذا نقداً لكلمات أغانيك لكنى أناقش المبدأ ذاته ..
يقول الناقد والأستاذ الكبير (محمد العنانى) : إن
الفارق بين العربى والإنجليزى كبير حتى فى أبسط
الأمور .. إنه الفارق بين شخص يفرح بشيء ما
(فيثلى صدره) ، وشخص (يشعر بالدفء فى
صدره) !

هل فهمت ما أعنيه ؟ حتى حرارة الجو تترك أثرها
فى تعبيراتنا وكلماتنا ..

أرسلت (مريم) قصيدة لـ (سيلين ديون) تقول :
- « العالم يتحدث لغات مختلفة .. لكن الحب له
لغة واحدة .. إننى أعرف هذه اللغة وأملك شرحها ..
لكن حبيبى لا يفهم .. »

من يدرى ؟ لعل الأخت (سيلين) تتحمس لهذه
القصيدة ، وتكف عن الغناء لحطام (التيتانيك) ..
قولوا يا رب .

• الصديقة / فردوس محمد عبد الوهاب - القاهرة :
مرحباً بك يا (فردوس) هنا .. حتى لو اضطررت
لترك الفيزياء ولو لبضع دقائق ..

تقولين إن الكتيب الثانى أثار غضبك .. حقًا
لا أعرف السبب ، وليتك ذكرته .. أما عن تشابه
(حشرة الشيطان) مع (وجاء العنكبوت) فهو قوى
حقًا .. كلا القصتين تتحدّث عن حشرة ما .. كما أننى
رجل مثل (آينشتاين) بالضبط .. كلانا رجل وهذا
يكفى لجعلنا متشابهين ..

ظاهرة (ديجافو) قد تكلمت عنها ثلاث مرات
فى الردود والهوامش .. وسأحطم أعصاب القراء
لو شرحتها من جديد ..
بانتظار خطابات أطول .. هه ؟

• الصديق / مراد محمد معتز - حلمية الزيتون :
مجموعة ممتازة من الآراء أشكرك عليها .. لكن
الأسئلة عن نهاية (حارس الكهف) و (انفصال سالم
وسلمى) و (الحنث بالوعد فى بعض القصص) قد
رددت عليها بالتفصيل من قبل ..

د . (لوسيفر) ستتضح شخصيته وطبيعته أكثر
فى قصص قادمة ؛ لكن من الواضح تمامًا أنه كائن
شيطانى خارق للواقع ..

شكرًا يا (مراد) على الخطاب والصورة ،
ولا تنسى أبدًا ..

• الصديق / محمد صلاح الأنصارى - الشرقية .
الأستاذ / الفاضل (جمدى مصطفى) .. تحية
طيبة وبعد و

آه ! هذا ليس خطابًا موجهًا لى .. لن أواصل
القراءة إذن ، وسأوصله للأستاذ (حمدى) بنفسى
يا (محمد) .. اطمئن ..

بالمناسبة ؛ لو كان الأستاذ (خالد الصفتى) يتلقى
من الخطابات الموجهة لى نصف العدد الذى يصلنى
من خطاباته بطريق الخطأ ؛ فمعنى هذا أن سلسلتى
رائجة حقًا !

ملحوظة أخرى : لا تقل (بصفتى مبتدأ)
يا (محمد) ولكن قل (بصفتى مبتدأ) ! لكنى
- أكرّر - لم أقرأ الخطاب !

• الصديق / أحمد خطاب - من أين ؟
(أحمد) طالب بكلية التجارة ، يعانى من ولعه
الشديد بكل السلاسل ، التى تصدرها المؤسسة حتى
ليوشك ما ينفقه على خراب بيته .. من جديد
يا (أحمد) لا أظن أن سلاسل المؤسسة تكلف كل
هذا المال مع حساب التكلفة السنوية ، ومقارنتها
بأشياء أخرى لا تفيد ولا تمتع ولا تشبع ..

سررتى أنك انضممت لنادى (أعداء أسطورة
الغرباء) ، وهذا يجعل للقصة شعبية كبيرة .. وأعتقد
أنها صارت أشهر ما كتبت من قصص .. إن الجدل
مفيد دائماً ..

يقول (أحمد) : « لا أريد أن يفتضح أمرى فى
الكلية حين يعرفون أننى أقرأ رواياتكم .. لا تقل لى
أن أعتد برأى أو لا أهتم بكلام التافهين ، فمهما
قلت سيظل الناس أو الشباب يسخرون منى ، وسيظل
الواحد منهم يعتبر بكلام أصدقائه مهما بدا
تافهاً .. »

لا أدري يا (أحمد) .. أعتقد أن قيمة ما يقرؤه
المرء تنبع من مدى استفادته أو استمتاعه (دون
تنازلات) .. وأنا شخصياً ما زلت أقرأ كل ما نشره
(ديزنى) دون خجل .. لماذا أخجل ؟ إن الفن الراقى
قد يتخذ أشكالاً غير مألوفة .. وعلى كل حال أعتقد
أن إصدارات المؤسسة تحظى بشعبية كبيرة فى
الجامعات ، ومن المبالغة أن تعتبر نفسك متفرداً ..
وفى النهاية : الخطأ هو الخطأ والعيب هو العيب ..

كلنا نعرفه ونميزه ونخافه .. فيما عدا هذا أنت حر
فيما تقرؤه تماماً ..

• الصديق / محمد صالح الحمادى - المحلة
الكبرى .

أشرك على هذه الكلمات الرقيقة عن رواج
الكتيبات فى (المحلة) .. وأرجو أن يجد الشاب
(علاء عبد العظيم) موضعاً له وسط هذا الإقبال ..
إنه يذكرنى بشبابى إلى حد ما ، وإن كان أكثر إيجابية
وعنفاً ، وصحته ما شاء الله ..

بحسب طلب عضوية نادى (أعداء أسطورة
الغرباء) ، وهذه العضوية مفتوحة كما تعلم ..
(هن - تشو - كان) عائد قريباً جداً فى هذه
السلسلة ، ليضيف بعض الركلات إلى عالمى الهادئ
البطيء ..

هل هذه صورتك ؟ لقد حسبتها ! حسبتها فرائشة
دخلت الخطاب عن طريق الخطأ ! كلا .. ليس
صرصوراً طبعاً ..

(محمد صالح الحمادى) من هواة المراسلة

للجنسين .. ويطالبني بأن أخبركم أنه فى السادسة عشرة من عمره ، طالب فى معهد المحلة الكبرى الأزهرى ، وعنوانه شارع نعمان الأعصر - عمارة إبراهيم الساعى أمام عزبة خضر - رقم بريدى 31911 .. تصوروا هذا ؟!

طبعاً لن أنشر هذا الكلام يا (محمد) لأن المساحة لا تكفى شيئاً من هذا القبيل ..

• الصديقة / سارة أحمد جودة إسماعيل - المنصورة :

وصديقتها / إيمان إبراهيم هلال - المنصورة :
خطاب رقيق تحدثت فيه عن دراستها وأحلامها ، ثم تقول إنها متوترة بعض الشيء ، لأنها لا تعرف مصير هذا الخطاب ، أو بماذا سيرد عليه د. (رفعت) ..

(سارة) متمكنة من اللغة جيداً ، تجيد السيطرة على جواد الكلمات المتمرد ليقودها حيث تريد بالضبط .. ومن الواضح تماماً أن علاقتها بالكتابة لن تنتهى بسهولة ..

لم يصلنى خطاب (إيمان) بعد ، لكن أصدقاء
أصدقائنا هم - حتمًا - أصدقائنا ..

- المكلف بدحرجة الصخرة إلى قمة الجبل - فى
الأساطير الإغريقية - هو (سيزيف) ، وقد كتب
(ألبير كامى) الفيلسوف والأديب الفرنسى كتابًا بعنوان
(أسطورة سيزيف) يناقش فيه هذا الموقف العبثى ..

- (البارانونيا) هى جنون الاضطهاد .. وباختصار
مخل هى جنون من طراز (أنا عظيم - أنا ملهم - كلهم
يكرهوننى ويراقبوننى ويدسّون لى السم فى الطعام) ..
وهو يختلف كثيرًا جدًّا عن (الشيزوفرينيا)
(السكيزوفرينيا) كى لا يغضب الأطباء النفسيون) ..
- المؤلف طبيب باطنى .. أو هذا ما أعرفه عنه ..

- أعتقد أن الأدب قد وجد منذ عرفت اللغة .. على
كل حال سأشرح هذا بشيء من التفصيل فيما بعد ..
يجب أن يكون كلامى موثقًا بأرقام واضحة ..

- الخطاب ممزق من موضع غلقه لأنك أعدت
فتحه ؟ أنت تثقين فى قوة ملاحظتى إلى حدّ غريب !

• الصديق / أحمد محمد حسن عبد الله بلال
(أطل الله اسمه أكثر) :

(أحمد) عثة كتب حقيقية تلتهم أى شىء مكوّن
من أحرف ، وموضوع على الورق .. وقد لحق بقطار
(ما وراء الطبيعة) منذ عام واحد ؛ لكنه لم يعد يطبق
ترك كتيب منها برغم أن بعض الكتيبات سخيقة ..
هذا طبيعى يا (أحمد) .. واختلاف الأذواق وارد ..
(أحمد) رأى اللوحة الشهيرة للكابوس الجاثم على
صدر امرأة نائمة فى الظلام ، والتى وصفها (هـ)
فى (الجاثوم) .. إنها لوحة شهيرة جداً يا (أحمد)
لكنى لم أعرف اسم رسامها قط ..

(أحمد) رومانسى مرهف الحسّ - من قالها ؟ هو
طبعاً - كتوم يلقى كل الناس بأسرارهم التافهة
داخله .. ويشعر أنه الصورة الرجولية لصديقتنا
(رحمة أ. ط) ..

يبدى (أحمد) ملحوظة رقيقة عن تشابه (سالم
وسلمى) مع حلقات (المنزلقون) .. طبعاً !
ولا أدري لماذا لم يقل أحد إن ملفات (X) تشبه
(ما وراء الطبيعة) ؟

يرسم (أحمد) فى النهاية شعار القديس (سيمون
تمبلر) الشهير ويقول إنه معجب به جداً ..

يوماً ما ستلقاه (عبير) فى (فانتازيا) فلا تفوت
هذا العدد ..

• الصديق / سامح رجب فؤاد - الدقى :

والصديق / محمد وفاء الدين سيد :

وصفا الخطاب بأنه من (خطابات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة) .. على غرار
ال Slogan التى ابتكرها الأستاذ (حمدى مصطفى)
لسلسلتى .. لا أقول Slogan تحذلقاً ، لكنى لا أجد لها
ترجمة مناسبة ..

بدأ الخطاب بمديح جميل ، إلى أن قررا أن يقرءا
لى حظى بأوراق (التاروت) .. إن الورقة الأولى هى
ورقة المرض التى تقول إبنى لم أكن على ما يُرام فى
الكتيبات 13 ، 15 ، 18 ، 21 ، 23

بعد هذا تأتى ورقة بدء الشفاء من الكتيب 24 حتى
37 .. ويقولان إبنى - كلما اكتمل القمر بدرًا - كتبت
روايات سيئة ، سرعان ما تقود إلى ورقة الموت ..
انقطعت الكهرباء عدة مرات فى أثناء كتابة
خطابكما لى .. أحسن ! ماذا تنتظران غير هذا من
(رفعت إسماعيل) ؟

(سامح) موظف فى الهيئة العامة للتأمين
الاجتماعى ، و (محمد وفاء) طالب بكلية الزراعة ،
وأنا أعدهما أن أكون أفضل ، ولا أكتب قصة سيئة
أبدًا .. لا أدري كيف لكنى سأحاول ..

• الصديقة / إيمان إبراهيم هلال - المنصورة :
يا نهار أبيض ! هذه (إيمان) معنا ، وكنت أحسب
خطابها قد فقد حين كنت أكرم (سارة) .. خطاب
رقيق جدًا كما قالت (سارة) عنه .. وإن كنت أرجو
إعفائى يا (إيمان) من اقتراح كلية تدخلينها لأنك
خير من يعرف إجابة كهذه ..

شكرًا على قرص الأسبرين المرفق بالخطاب -
استعملته بالفعل لكن ليس من أجل خطابك - وعلى
التعليق عن (المنزلقون) .. و بانتظار خطابات أخرى
يا (إيمان) ..

• الصديق / محمد عماد عبد الله حجاب - مدينة نصر :
خطاب يحمل ملصقًا يمثل بطلى الـ (تيتانيك)
كالعادة ..

(محمد) يدرس اللغة الألمانية ، وقد لاحظ تناثر
بعض الألفاظ بالألمانية فى القصص مثل (إيجور) ..

أنا لا أجيدها يا (محمد) لكنى فقط أطعم الحوار بها
لأعطيه صداقية ..

بالطبع شاهدت فيلم (تايتانيك) مرارًا ، ولست شديد
الحماس له ، وأرى أن فيلم (المريض الإنجليزي)
الذى اكتسح جوائز (الأوسكار) قبله بعام واحد ، هو
أعمق وأصدق ..

لكن (تايتانيك) قد صنّم ببراعة تامة ، بحيث كان
من المستحيل أن يفشل .. وعلى كل حال هذا رأى
شيخ عجوز مثلى لم يعد يميّز (كيت وينسليت) من
كرسى المطبخ .. و (ماجى) أجمل بالطبع ..
لم يصلنى خطاب من (هشام فؤاد) .. لكن لو
وجدته بين يديّ سأردّ فوراً ..

• الصديق / أحمد محمد يوسف - الإسكندرية :
نصيحة رقيقة بالامتناع عن التدخين - بدأ بها
(أحمد) خطابه ، ثم يقول إنه ظلّ يحلق فى الهواء
مع السلسلة حتى اصطدم بأول مطبّ هوائى هو
(أسطورة الغرباء) ..

(فراتكنشتاين) قادم فى الكتيب رقم (41) إن شاء

اللَّه ، ولسوف تكون لى قصة أنتقل فيها إلى (جانب
النجوم) شخصياً .. لا أعرف رقم الكتيب بعد ..
د. (لوسيفر) قارئ أفكار أبرع من (إيجور)
بمراحل ، وراجع إجابتي على الصديق (مراد محمد
معتز) ..

بانتظار خطابات أكثر .. وشكراً .

• الصديق / محمد صلاح الدين صالح - الدقهلية :
واحد من محترفي الكتابة الذين يزنون الحرف
والنقطة .. هذا واحد آخر لمستة عصا الأدب ..
فاشتعل .

يبدأ الخطاب بوضعى فى الجو .. الكتاب الذى
يقرؤه .. صوت (عبد الحليم حافظ) .. العودة من
عند (هيثم) ..

مشكلته هى الشعور بفراغ قاتل ، وإحساس بعدم
الجدوى .. كل شىء ممل ..

يحكى عن متسولة قرعت بابيه فى (رمضان)
تستجدى ، وقد ألهمه هذا بقصيدة عصماء ، ما زال
بعض الإحكام ينقصها لكنها محاولة جيدة ..
لا أدري إذا كنت قد قرأت (نوجة) لـ (نجيب

سرور) التى تحكى عن صبى يبيع (النوجة)
فى الشوارع فى برد الشتاء .. لا بد أن تقرأها
وتقرأ سواها ، لأن الشعر لا يكتب من دون قراءة
طويلة مرهقة ..

المقطع الذى ذكرته أنت للشاعر الشهير المعاصر ،
لا يريحنى كثيراً ، ولا يخلو من تجديد مريب يحبه
هو كثيراً ، وهذا على سبيل إحداث صدمة وتفزز لدى
المستمع ؛ كما يصرخ الطفل فجأة دون سابق إنذار
ليلفت النظر لنفسه .

لا أحب دهاليز الشعر المظلمة هذه .. والدنيا لم
تضق بحيث لا يبقى فيها سوى هذا التجديف .. إن
هناك مليون طريقة لوصف معاناته غير التى اختارها
فعلاً ..

كما تقول : أنا أسجل موقفاً فقط ..

أرجو أن تذاكر تمييز الأعداد جيداً كما شرحتها
الأستاذ (محمد على موسى) .. للأسف لا يعرف
المرء قيمة هذه الأشياء إلا متأخراً ، عندها يجد نفسه
فى مأزق حقيقى ..

المظروف صغير فعلاً يا (محمد) ، وقد تمزّق
الخطاب منى فى أثناء (ولادته) .. لكنى أشكرك
بشدة عليه ..

كم الساعة الآن ؟
يجب أن أنصرف ، لكنى عائد حتماً ما لم أمت .

د. / رفعت إسماعيل
القاهرة

عنوان المؤسسة هو

٨ ، ١٠ ش ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية القاهرة

عنوان الإنترنت هو

WWW. geocities. Com / areasi / Starship / 3574

■ تنويه ■

حدث خطأ مطبعى فى (أسطورة الدُمية) فيما يتعلق بنص الآية القرآنية (سورة البقرة - الآية ١٠٢) .

أرجو أن تفتح المصحف ، وتصححها فى الكتيب ، لأننى أخشى أن أعيد نشرها فيكرر الخطأ ..

روايات مصرية الجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| 1 - أسطورة مصاص الدماء . | 21 - أسطورة عدو الشمس . |
| 2 - أسطورة النداهة . | 22 - أسطورة المينوتور . |
| 3 - أسطورة وحش البحيرة . | 23 - أسطورة رعب المستنقعات . |
| 4 - أسطورة أكل البشر . | 24 - أسطورة إيجور . |
| 5 - أسطورة الموتى الأحياء . | 25 - أسطورة الجنرال العائد . |
| 6 - أسطورة رأس ميدوسا . | 26 - أسطورة المواجهه . |
| 7 - أسطورة حارس الكهف . | 27 - أسطورتنا . |
| 8 - أسطورة أرض أخرى . | 28 - أسطورة آخر الليل . |
| 9 - أسطورة لعنة الفرعون . | 29 - أسطورة الجاثوم . |
| 10 - أسطورة حلقة الرعب . | 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . |
| 11 - أسطورة الكاهن الأخير . | 31 - أسطورتها . |
| 12 - أسطورة البيت . | 32 - أسطورة رفعت . |
| 13 - أسطورة اللهب الأزرق . | 33 - أسطورة أرض المغول . |
| 14 - أسطورة رجل الثلوج . | 34 - أسطورة الشاحبين . |
| 15 - أسطورة النبات . | 35 - أسطورة دماء دراكيولا . |
| 16 - أسطورة النافاراي . | 36 - أسطورة الفصيله السادسة . |
| 17 - أسطورة حسناء المقبرة . | 37 - أسطورة الدمية . |
| 18 - أسطورة الغرباء . | 38 - أسطورة النصف الآخر . |
| 19 - أسطورة بو . | 39 - أسطورة التوءمين . |
| 20 - حكايات التاروت . | 40 - وراء الباب المغلق . |

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-------------------------|-------------------------|--------------------------|
| 87 - خط المواجهة . | 44 - العين الثالثة . | 1 - الاختفاء الغامض . |
| 88 - سفير الخطر . | 45 - القبضان الجليدية . | 2 - سباق الموت . |
| 89 - قبضة السفاح . | 46 - تهيب الثلج . | 3 - قنّاء الخطر . |
| 90 - الهدف . | 47 - الرصاصة الذهبية . | 4 - صائد الجواسيس . |
| 91 - الوجه الخفى . | 48 - شيطان المافيا . | 5 - الجليد الدامى . |
| 92 - الخطر . | 49 - الضربة القاضية . | 6 - قتال الذئاب . |
| 93 - أرض العدو . | 50 - مهمة خاصة . | 7 - طريق الماس . |
| 94 - كتيبة الدمار . | 51 - سم الكويبرا . | 8 - غريم الشيطان . |
| 95 - الصراع الوحشى . | 52 - جنال الموت . | 9 - أنياب الثعبان . |
| 96 - المعركة الفاصلة . | 53 - ذئاب ودماء . | 10 - المال الملعون . |
| 97 - الصقر الأعشى . | 54 - رحلة الهلاك . | 11 - المؤامرة الخفية . |
| 98 - القناص . | 55 - أفعى برشلونة . | 12 - حلفاء الشر . |
| 99 - مذاق الدم . | 56 - العهد الأبيض . | 13 - أرض الأهوال . |
| 100 - الضربة القاصمة . | 57 - عملية الأدغال . | 14 - عملية مونت كارلو . |
| 101 - انقلاب . | 58 - أعدام بطل . | 15 - إمبراطورية السم . |
| 102 - نهر الدم . | 59 - انتقام شبح . | 16 - الخدعة الأخيرة . |
| 103 - المحترف . | 60 - دولنا كارولينا . | 17 - انتقام العقرب . |
| 104 - الإعصار الأحمر . | 61 - ملائكة الجحيم . | 18 - قاهر العمالقة ج ١ . |
| 105 - عقارب الساعة . | 62 - أبواب الجحيم ج ٢ . | 19 - ثعلب الثلوج . |
| 106 - الأفقى . | 63 - الجاسوس . | 20 - مضيق النيران . |
| 107 - اتحاد القتلة . | 64 - تحت الصفر . | 21 - أصابع الدمار . |
| 108 - الفخ . | 65 - الجليد ش . | 22 - فارس اللؤلؤ . |
| 109 - قبضة الشر . | 66 - ألف وجه . | 23 - الضباب القاتل . |
| 110 - اغتيال . | 67 - الجحيم المزدوج . | 24 - الخنجر الفضى . |
| 111 - معبد الجريمة . | 68 - قلعة الصقور . | 25 - آخر الجبابرة . |
| 112 - الفريق الأسود . | 69 - أجنحة الانتقام . | 26 - الجوهرة السوداء . |
| 113 - رياح الخطر . | 70 - أباطرة الشر . | 27 - قلب العاصفة . |
| 114 - ممر الجحيم . | 71 - ضد القانون . | 28 - الصراع الشيطانى . |
| 115 - بلا رحمة . | 72 - شريعة القاب . | 29 - الرمال المحرقة . |
| 116 - مهرجان الموت . | 73 - المعتقل الرهيب . | 30 - الخطوة الأولى . |
| 117 - عمالقة الجبال . | 74 - الدائرة الجهنمية . | 31 - خيط الذهب . |
| 118 - الأربعة الكبار . | 75 - أسوار الجحيم . | 32 - القوة (١) . |
| 119 - فوق القمة . | 76 - النهر الأسود . | 33 - مارد الغضب . |
| 120 - السنيورا . | 77 - عمالقة مارسيليا . | 34 - قراصنة الجو . |
| 121 - وجه الأفقى . | 78 - صحراء الدم ج ١ . | 35 - ذئب الأحراش . |
| 122 - الأصابع الذهبية . | 79 - صفقة الموت ج ٢ . | 36 - مخلب الشيطان . |
| 123 - المستحيل . | 80 - وكرا الإرهاب ج ٣ . | 37 - لعبة المحترفين . |
| 124 - اللمسة الأخيرة . | 81 - الرجل الأخر ج ١ . | 38 - أعماق الخطر . |
| 125 - عملية النيل . | 82 - الأخطبوط . | 39 - مهنتى القتل . |
| 126 - ساعة الصفر . | 83 - معركة القمة . | 40 - الانتحاريون . |
| 127 - نقطة الضعف . | 84 - جزيرة الجحيم . | 41 - الهدف القاتل . |
| | 85 - لمسة الشر . | 42 - الخاطر . |
| | 86 - الثعلب . | |

ملف المستقبل

سرى جداً

صدر من هذه السلسلة :

85 - الأمل الفيروزي .	43 - ثقب في التاريخ .	1 - أشعة الموت .
86 - الإمبراطور .	44 - الخارقون .	2 - اختفاء صاروخ .
87 - نصف آلي .	45 - السحاب الأحمر .	3 - مدينة الأعماق .
88 - الانفجار الحي .	46 - الكوكب الملعون .	4 - غزاة الفضاء .
89 - البركان .	47 - المقاتل الأخير .	5 - القنبلة الغامضة .
90 - رغب في الأعماق .	48 - سجن القمر .	6 - زائر من المستقبل .
91 - ضد الزمن .	49 - غزو الأرض .	7 - جنون طائفة .
92 - الرحلة الرهيبة .	50 - الأسطورة .	8 - الارتجاج القاتل .
93 - نقطة الصفر .	51 - الخلية القاتلة ج ١ .	9 - صراع الحواس .
94 - الساحر .	52 - العدو الخفى ج ٢ .	10 - الفارس المجهول .
95 - القوة السوداء .	53 - أمطار الموت .	11 - منطقة الرعب .
96 - بذور الشر .	54 - عبر العصور ج ١ .	12 - طريق الأشباح .
97 - لهاب الكواكب .	55 - أسرى الزمن ج ٢ .	13 - الزمن المفقود .
98 - ثيران الكون .	56 - شيطان الأجيال ج ٣ .	14 - نداء النجوم .
99 - الانفجار .	57 - منطقة الضياع .	15 - مثلث الغموض .
100 - الزمن = صفر .	58 - معركة الكواكب ج ١ .	16 - الوباء الجهنمي .
101 - الحرياء .	59 - جحيم أرغوان ج ٢ .	17 - نبض الخلود .
102 - التوهم الرهيب .	60 - أرض العمالة .	18 - ظلال الفزع .
103 - الأرض المفقودة .	61 - الكابوس .	19 - عيون الهلاك .
104 - أنياب ومخالب .	62 - سادة الأعماق ج ١ .	20 - العقول العدننية .
105 - وجوه من ليج .	63 - المحيط الملتهب ج ٢ .	21 - أطباق الماضي .
106 - بلا آخر .	64 - السيف البلوري ج ١ .	22 - ليلة الرعب .
107 - لعنة الدم .	65 - أبواب الموت ج ٢ .	23 - بصمات السحرة .
108 - مصيدة الفضاء .	66 - الشمس الزرقاء .	24 - الضوء الأسود .
109 - الدوامة .	67 - شيطان الفضاء .	25 - صهوة الشر .
110 - الفجوة السوداء .	68 - عقول الشر .	26 - لعنة الفضاء .
111 - كوكب الطفافة .	69 - العالم الآخر .	27 - الفخ الزجاجي .
112 - بصمة الموت .	70 - الستار الأسود .	28 - النهر المقدس .
113 - حرب الفيروسات .	71 - أمير الظلام .	29 - الإيقاع المفتوس .
114 - الرعب .	72 - ابن الشيطان ج ١ .	30 - النار الباردة .
115 - العدو الخارق .	73 - مبعوث الجحيم ج ٢ .	31 - رنين الضمير .
116 - العاصفة النووية .	74 - الصراع الجهنمي ج ٣ .	32 - الألق الأخضر .
117 - فارس الزمن .	75 - الجولة الأخيرة ج ٤ .	33 - حارس الأرواح .
118 - ألف عصر .	76 - الاحتلال ج ١ .	34 - وحش المحيط .
119 - زمن الدم .	77 - المقاومة ج ٢ .	35 - مرآة الفد .
120 - الفارس الثاني .	78 - الصراع ج ٣ .	36 - الموت الأزرق ج ١ .
121 - المجهول .	79 - التحدي ج ٤ .	37 - السماء المظلمة ج ٢ .
122 - الظلال الرهيبة .	80 - النصر ج ٥ .	38 - من وراء النجوم ج ٣ .
123 - دائرة الظل .	81 - رمز القوة .	39 - النواج الساخنة .
124 - الغزاة .	82 - حصن الأشرار .	40 - علامات الخوف .
125 - كرة النار .	83 - أرض العدم .	41 - مملكة النار .
126 - لهاب الرعب .	84 - كنز الفضاء .	42 - الأرض الثانية .
127 - طريق النجوم .		
128 - الزمن الآخر .		

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-----------------------|------------------------|------------------------|
| 55- اغفر لى . | 28 - لك قلبى . | 1 - من أجلك . |
| 56 - لقاء فى الغروب . | 29 - الحلم . | 2 - لا تقتل وداعا . |
| 57 - جدار الماضى . | 30 - زوجى . | 3 - قلوب لا تنبض . |
| 58 - لأنى أحبك . | 31 - الحب والمعجزة . | 4 - الدموع الباردة . |
| 59 - الأسيرة . | 32 - وداعا للماضى . | 5 - هى فى حياتى . |
| 60 - مرحباً بالحب . | 33 - طائر غريب . | 6 - يا قلب لا تغفر . |
| 61 - شمعة لا تنطفئ . | 34 - هذا الرجل . | 7 - النعج الجاف . |
| 62 - لا ترحلى . | 35 - النقينا من جديد . | 8 - طيور بلا أجنحة . |
| 63 - لمسه حب . | 36 - نسمة الصباح . | 9 - رسالة حب . |
| 64 - الصديقتان . | 37 - لن أعود . | 10 - لعبة القدر . |
| 65 - الوجه الدميم . | 38 - الشريكان . | 11 - العصفور الجريح . |
| 66 - خفقات قلب . | 39 - أنت قدرى . | 12 - أشجار الحب . |
| 67 - جراح الماضى . | 40 - بلا أمل . | 13 - رحلة قلب . |
| 68 - حبيبتى الوحيدة . | 41 - أحلام ضائعة . | 14 - شمس الليل . |
| 69 - آلام الحب . | 42 - أبى الحبيب . | 15 - الحب بلا أرقام . |
| 70 - كفانا عناداً . | 43 - الحاجز . | 16 - لقاء الحب . |
| 71 - رجل أحبيته . | 44 - لن أنساك . | 17 - المرأة السوداء . |
| 72 - نبع الحب . | 45 - سبتقى فى قلبى . | 18 - حب وكراهية . |
| 73 - مشاعر دافئة . | 46 - أحبتك فى صمت . | 19 - وذاب الجليد . |
| 74 - أشواك الحب . | 47 - رجل وقلبان . | 20 - حب وسط النيران . |
| 75 - لن أبكى . | 48 - الحب الجريح . | 21 - دموع كيوييد . |
| 76 - قلوب حائرة . | 49 - الحب والاختيار . | 22 - أوهام الحب . |
| 77 - وداعاً للأبد . | 50 - وابتسمت الحياة . | 23 - نداء قلبى . |
| 78 - فتاة جميلة . | 51 - اللقاء الأخير . | 24 - حذار من الحب . |
| 79 - قسوة وغفران . | 52 - عودة الغائب . | 25 - الموعد . |
| 80 - زهرة برية . | 53 - أمواج الحب . | 26 - وداعاً يا حبيبى . |
| 81 - زهرتى الجميلة . | 54 - معك دائماً . | 27 - حبيبى المذنب . |

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|-----------------------|--------------------------|
| 10 - الاسم شكسبير . | 1 - قصة لا تنتهى . |
| 11 - نداء الادغال . | 2 - حكايات من والاشيا . |
| 12 - بين عالمين . | 3 - صفر... صفر... سبعة . |
| 13 - رجل من كريبتون . | 4 - إمبراطورية النجوم . |
| 14 - من بعد سوبرمان . | 5 - ذات مرة فى الغرب . |
| 15 - إعدام فى البرج . | 6 - خيول ورماح . |
| 16 - شبح وشيطان . | 7 - ألعاب إغريقية . |
| 17 - اقتلوا بطوط . | 8 - مملكة الموتى . |
| | 9 - الخناقون . |

رقم الإيداع : ١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة

١٠٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعماصة

القاهرة - ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤